مجلة شهرية

عدد: Issue No: 26
تشرين أول October 2009

نور المسيح يسوع المسيح الله
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

إعادة رفات القديس سابا من البندقية الى ديره العامر

محتويات العدد

2 عصارة الحياة.

3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

4 قول الذهبي الفم عن الكنيسة

5 طريق النسّاك

6 تفسير القدّاس الإلهي

8 القديسة بيلاجية

12 القديس يوحنا المعمدان

15 العهد القديم . (١٠)

16 كيف تجعل زواجك ...

19 عن القديس ثيودوسيوس

20 كأس الموت

22 ما هي حياتك

23 للأولاد الأذكياء فقط

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

إعداد وتحضير : هشام ميخايل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

عصارة الحياة

إنّ أغصان الشجرة القويّة لا تسقط على الأرض كما يقضّ بذلك قانون الجاذبيّة الأرضيّة وذلك لأنّه داخل الشجرة قانون آخر **أقوى** من قانون الجاذبيّة الأرضيّة اسمه **(قانون الحياة)**.

وبحسب قانون الحياة ، تصعد أغصان الشجرة إلى فوق ضد الجاذبيّة الأرضيّة. ولكنّنا إذا قطعنا فرعاً من الشجرة، **سقَطَ** وهوى على الأرض لإنفصاله عن قانون الحياة الذي في داخل الشجرة.

والمسيح هو **(شجرة الحياة)** وهو الذي قال: "أنا هو الكرمة وأنتم الأغصان الذي يثبُت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمرٍ كثير" (يو١٥:٥).

وكلامه هو **عصارة الحياة** ، فإذا انفصلنا عن شجرة الحياة وحَرَمنا أنفسنا من عصارة الحياة فلابدّ أنّنا سنَسقط ونهوى ونصير **كغصن يابس** ليس فيه حياة.

إنّ الكتاب المقدّس هو كلام الحياة ، فكلماته حيّة ومُحيية ؛ كلماته حيّة وتُعطي الحياة ، فالكتاب المقدّس هو الكتاب الحيّ الوحيد في العالم.

وكيف ذلك ؟

إنّ الفارق بين أي كائن ميّت وآخر **حيّ** هو:
أنّ الحيّ يجري الدم في عروقه،
بينما الميّت يتوقّف جريان الدم في عروقه بعد أن توقّف فيه نبض الحياة.

والكتاب المقدّس يجري في عروقه الدمّ بعهديه القديم والجديد. لذلك فهو **كتاب حيّ** ..

ففي العهد القديم :

رَشّ موسى على الشعب من دم الذبائح عند كتابة أقوال اللّه وقال لهم: "هوَذا دم العهد الذي قطعه الربّ معكم على جميع هذه الأقوال" (خر٢٤:٨). فالعهد القديم مُعطى بدم الذبائح.

وفي العهد الجديد:

أعطى السيّد المسيح الكأس لتلاميذه في الليلة التي سلّم فيها ذاته وقال لهم:
"إشربوا منها كلّكم. لأنّ هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يهراق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت٢٦:٢٧-٢٨).

فالعهد الجديد مُعطَى بدم **الذبيح الأعظم** الربّ يسوع المسيح.

إذاً كتابنا المقدّس هو **الكتاب الحيّ** الوحيد في العالم. **فكلامه حيّ** ، وكلامه أيضاً **محيي** لأنّه يُعطي الحياة. فكلامه هو **عصارة الحياة** التي نستمدّها من ثباتنا فيه والتي بها نحيا ونتحرّك ونوجد.

يقول القدّيس بولس الرسول:
"كل الكتاب هو **موحى به** من اللّه» (٢تي٣:١٦).
وكلمة (موحى به) في الأصل اليوناني تعني (نفس) أو (نَسَمَة).

فالكتاب المقدّس إذاً هو **أنفاس اللّه** أرسلها إلى رجاله القدّيسين ..
"لأنّه لم تأت نبوة قَط بمشيئة إنسان بل تكلّم أُناس اللّه القدّيسون مَسُوقين من الروح القدس" (٢بط١:٢١).

وبما أنّ الكتاب المقدّس هو **أنفاس اللّه** إذاً فهو **كتابٌ حيّ**.
إليه يرجع كل مؤمن لينهل من منهله العذب ويشبع من كلماته التي هي روح وحياة (يو٦:٦٣).

الكتاب المقدّس هو **نبع الحياة** الذي يغمر القلب بالسلام ويمنح النفس طمأنينة ويُعطي الفكر إستنارة.

هو **نبع الحياة** الذي يُنَظّف العقول مما تراكم عليها من خداع الكاذبين ويُنَظّف الحياة ويُقَرّب الإنسان إلى اللّه.

هو **نبع الحياة** الذي يجلي ظلام حياتنا ويغسل ضمائرنا في بحر النقاء.

هو **نبع الحياة** ونهر السلام الذي يكتسح أمامه كل هموم الحياة ، والفيض الذي يملأ قلوبنا وصدورنا بمحبّة الرب.

هو نهر لا يجفّ ماؤه في الحياة.

الكتاب المقدّس هو نبع الحياة
وكلماته هي الماء الصافي
والغدير المتدفق على واحة قلوبنا.

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة الذكرى المئويّة لتأسيس المذبح المقدّس
لكنيسة القديس جوارجيوس اللابس الظفر
في مدينة الفحيص - الأردن

" إفرحي وتهلّلي يا أورشليم الجديدة لأنّ مجد الرب قد أشرق عليك " .

إفرحي وتهلّلي يا أرض بلاد بترا الأردن ، لأنّ مجد الربّ قد أشرَقَ عليها وخاصّة في مدينة الفحيص المثمرة.

أيّها الأخوة الأحباء.

لقد جمعتنا الروح الكليّة القداسة ، في هذه الكنيسة كي نشكر ونُمَجِّد إسم الإله الثلاثي الأقانيم المقدّس ، في الذكرى المئويّة لتأسيس المذبح الشريف الذي تُقَدَّم عليه الذبيحة غير الدمويّة.

يشتمل هذا الحَدَث على معنىً خاص كما هو بالنسبة لأعضاء جسد الكنيسة المؤمنين ، كذلك للقاطنين في هذه المدينة.

إنّ سَبَب وأهميّة إقامة المذبح ، أعني تشييد الكنيسة المسيحية له إرتباطٌ وثيق بسبب وأهميّة رفع صليب المسيح المُكَرّم على هذا المكان المُنسكِب منه دم المسيح الفدائي على الجلجلة الرهيبة.

لقدّ وَحَّدَ ربَّنا يسوع المسيح الأرضيّات مع السماويّات على الجلجلة الرهيبة ، بواسطة إزالة جدار العداوة ، مُقَدّماً دمه الكريم فدية لأجل الكثيرين.

يُقَدَّم هذا الإله الكلمة ربّنا يسوع المسيح أيضاً ولمرّات كثيرة على مذبح العبادة غير الدمويّة إلى الإله والآب **كآدم جديد** من أجلنا ولأجلنا.

لا يعني سرّ الشُكر الإلهيّ العظيم الذي يجري بلا إنقطاع على المذبح الكَنسيّ إلاّ عن محبّة اللّه للبشر.

وتُصبح محبّة اللّه للبشر محسوسة بنِعَمِه وخيراته الكثيرة نحو العالَم.

إنّ نعمة اللّه لكُلٍ منّا تُصبح محسوسة بتضحيتنا المقدّمة لأخينا الإنسان.

أجل أيّها الأخوة الأحباء

كما أنّ الصليب ، أعني تضحية المسيح الصليبيّة صارت سَبَباً لإشتراكنا مع المُقَرِّب والمُقَرَّب إليه والقابل والمُوَزَّع. المسيح الإله حسبَ ما جاء على لسان الذهبيّ الفم.

يُشَكّل الوجود المئوي لهذا الهيكل المُقَدّس تكريماً للقديس جوارجيوس العظيم في الشهداء شهادة عظيمة لا رَيْبَةَ فيها للأرث الروحي والطبيعيّ الذي وَرِثَته وَحَفِظَته بكل إحترام المملكة الأردنيّة الهاشميّة ، **أعني إرث الروميّة**.

تُشَكّل خدمة هذا الهيكل الشريف للذكرى المئويّة وبلا إنقطاع برهاناً واضحاً من جهة كرمز منظور ، ومن جهة أُخرى كروابط تعايُشيّة للكلمة المتجسّدة بالمسيح. أعني تعايش **الحقيقة المُعلنة من الروميّة** وكلمة الحقيقة حسبما جاء على لسان الشهيد الشريف والفيلسوف يوستينوس ، المُعَبِّر عن الإيمان الديني للخلفاء العرب وخاصّة خليفتهم صاحب الجلالة ملك الأردنّ عبدُاللّه بن الحُسَين الثاني.

إذاً وحَقّاً أيّها الأخوة الأحباء يَفرَح ويَبتَهج ملء كنيستنا المسيحيّ هاتفاً مع ناظم التسابيح:

" لقد ظهرت الكنيسة سماءً كثيرة الأنوار تُنير كلّ المؤمنين ونحنُ في وقوفنا الآن فيها نصرُخ قائلين ثَبّت يا ربّ هذا البيت " .

بشفاعات سيّدتنا الكليّة البركات والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم. وبشفاعات القدّيس **جوارجيوس العظيم في الشهداء اللابس الظفر** المُحامي والحافظ لمدينتكم.

لعلَّ الرب الإله يُقَدِّس مُحبّي جمال بيته ، أعني خَدَمَة هذه الكنيسة المقدّسة وكاهنها الإيكونوموس **الأب إلياس** ، **والأرشمندريت ايرونيموس الرئيس ، والأب رومانوس** ، وجميع الخادمين والساكنين والمرتّلين لهذه الكنيسة المقدّسة آمين.

وكل عام وانتم بألف خير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم عن الكنيسة

« الكنيسة هي رجاؤك وخلاصك وهي ملجأ لك »!
هي أعلى من السماء ، وأكثر إتساعاً من المسكونة!
إنّها لن تشيخ ، إنما تبقى في كمال حيويتها بغير توقف.
يشير الكتاب المقدّس إلى قوّتها وثباتها ، فيدعوها « جبلاً » ، وإلى طهارتها فيدعوها « العذراء » ، وإلى سُلطانها فيدعوها « الملكة » ، وإلى إنتسابها لله فيدعوها « الإبنة » ، وإلى نموّها فيدعوها « العاقر التي لها سبع بنين »...

طريق النساك

الإحتراس من عودة الخطيّة المغلوبة

إن انتصارك على الذات للمرة الأولى يمكن أن يكون علامة على أنك الآن قد بدأتَ السير في الطريق. ولكن لا تعتبر نفسك إنسانًا ذا فضيلة، بل اشكر اللّه لأنه هو الذي أعطاك القوة للنصرة. ولا تفرح فرحًا زائدًا، بل تقدم في طريقك بسرعة. وإلاّ فإن الخطية المغلوبة ربما ترجع إلى الحياة مرة أخرى وتطعنك من الخلف.

تذكر: أن بنى اسرائيل أُمرُوا من اللّه أن يطردوا "كل سكان الأرض" حينما امتلكوا الأرض الجديدة (انظرَ عد ٣٣: ٥١- ٦١)، وذلك لكي يكونوا مثالاً لنا لكي نتعلم منهم.

إن درجة انتصارنا على الذات قد تكون ذات قيمة تافهة، كأن نكون مثلاً قد تخلينا عن تدخين سيجارة الصباح، أو قد يكون شيئًا غير مهم بحسب الظاهر مثل عدم تحريك رأسنا، أو الإمساك عن نظرة معينة، فالحدث الخارجي ليس هو الأمر الحاسم، فالشيء الصغير يمكن أن يكون كبيرًا، والكبير يمكن أن يصير صغيرًا.

ولكن المرحلة التالية من المعركة هي دائمًا تنتظرنا، لذلك ينبغي أن نكون مستعدين على الدوام، فليس هناك وقت للراحة.

ومرة أخرى نقول: كن صامتًا: لا تدع أحدًا يلاحظ ما تفعله، فأنت تعمل في خدمة الإله غير المنظور، فليكن عملك أيضًا غير منظور، إذ يشرح لنا القديسون، أنه إن كنا نلقي بالفتات حولنا فلا بدّ أن تلتقطها الطيور المُرسلة من الشيطان.

احذر من إرضاء الذات: فإنها في لقمة واحدة يمكن أن تلتهم ثمار أتعاب كثيرة.

لذلك فإنّ الآباء ينصحون قائلين: اعمل بإفراز وتمييز، فالذي يميّز يختار أهون الشرّين. إن كنت على انفراد، فخذ النصيب الأصغر، أما إن كان أحد يراك من الناس، فينبغي أن تأخذ الطريق الوسط الذي لا يثير الانتباه. احفظ نفسك في الخفاء وكن غير ظاهر على قدر ما تستطيع، واجعل هذا هو قانونك في كل الظروف.

لا تتحدث عن نفسك، عن كيف نمت، وماذا حلمت، وما حدث لك، فالاتضاع لا غنى عنه.

تقبل أي ملاحظات توجه إليك بدون تذمر: بل كن شاكرًا حينما تُحتقر، وحينما يتجاهلك أحد ولا يعطيك اهتمامًا. ولكن لا تختلق أنت بنفسك المواقف المهينة، بل إنّ هذه المواقف ستقابلك من نفسها بالقدر الذي تحتاج أنت إليه، خلال مسيرة اليوم، فقد نلاحظ الشخص الذي ينحني كثيرًا ويتصرف بمذلة مثيرة، وربما نقول: ما أكثر تواضع هذا الشخص! ولكن المتواضع الحقيقي لا يلفت الأنظار: "فالعالم لا يعرفه" (انظر ١ يو ٣: ١)، فإنّ المتواضعَ هو في الغالب "**صفر بالنسبة للعالم**".

حينما ترك بطرس واندراوس ويوحنا ويعقوب شباكهم وتبعوا المسيح (مت ٤)، فماذا قال زملاؤهم الصيادون الذين بقوا كما هم على الشاطئ؟ فإنّ هؤلاء الأربعة قد تلاشوا واختفوا بالنسبة لبقية الصيادين.

فلا تتردّد، لا تَخَف أن تختفي مثلهم، من هذا الجيل الفاسق الشرّير ولا تعرض آرائك بدون أن يسألك أحد، لا تتكلم عن رغباتك واهتماماتك، فكل مثل هذا الكلام إنمايغذى انشغالك بذاتك.

القدّيس أفرام السرّياني

لا تُغَيّر عملك، أو مكان إقامتك أو أي شيء مثل ذلك. تذكّر: أنه ليس هناك مكان، وليس هناك مجتمع، ولا ظروف خارجية لا تخدم المعركة الروحية التي قد اخترتها. والاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو: أي عمل يساعد رذائلك بطريقة مباشرة.

لا تسعى إلى مراكز أعلى أو ألقاب أعظم، فكلما كان مركزك أقل، كلما كنتَ أكثر حُريّة، كن مكتفيًا بظروف المعيشة التي تحصل عليها الآن. لا تكن متحفزًا لإظهار علمك أو مهارتك.

"لا تتعجل في إبداء ملاحظاتك"، كأن تقول: "لا، إنّ الأمر ليس كذا وكذا...، بل هو كذا وكذا".

لا تُناقض أي شخص، ولا تدخل في مجادلات، واسمح لغيرك أن يكون دائمًا على صواب. لا تجعل مشيئتك الخاصة فوق مشيئة أخيك. فإنّ هذا سيعلمك ذلك **الفن الصعب**: **فن الخضوع** ومع الخضوع ستقتني الاتضاع.

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

إحتفال مشترك، إحتفال السماويّين والأرضيّين

أثناء الدخول المقدّس، يدخل أيضاً مع المسيح الملائكة القدّيسون. وبعد الدخول، ملائكة بشر يرتّلون التريصاجيون. (التسبيح المثلّث التقديس)

القدّيس جرمانوس يُفَسِّر هذا النشيد على النحو التالي: "قدّوسٌ اللّه أي الآب . قدّوسٌ القوي، أي الإبن والكلمة، لأنّه قيّد الشيطان المستقوي علينا وأبطَلَ بالصليب من له عزَّة الموت، ومنحنا الحياة والقوّة والسلطان كي ندوسه. قدّوسٌ الذي لا يموت، أي الروح القدس، المُحيي، الذي يمدّ الخليقة كلّها بالحياة، وبه تهتف قائلة:إرحمنا .. ويُقال ثلاث مرّات ، لأنّه يليق بكلّ من الأقانيم الثلاثة ذات اللاهوت الواحد هذا الهتاف ذو الثلاث تقديسات. فكلّ واحد من الأقانيم الثلاثة هو قدّوسٌ وقويّ ولا يموت".

ويقول البّار نيقولا كاباسيلاس: "إنّ التريصاجيون قد تفوّه به الملائكة وورد في كتاب المزامير الشريف لداود النبيّ. فاستخدمته الكنيسة وخصّت به الثّالوث القدّوس. لأنّ لفظة "قدّوس" التي تُقال ثلاث مرّات هي نشيد الملائكة، بينما الألفاظ "**اللّه**" ، "**القوي**" ، "**الذي لا يموت**" ، هي لداود النبيّ الذي يقول: "عطشت نفسي إلى اللّه، إلى الإله الحيّ". جمعت كنيستنا المقدّسة المزمور والتسبيح الملائكي وأضافت طلبتها: "**إرحمنا**" ... ليظهر توافق العهدين القديم والجديد من جهة ، وتوافق الملائكة والبشر من جهة أخرى ، داخل الكنيسة الواحدة، وفي مكان واحد".

أثناء القدّاس الإلهيّ ، "نحنُ جوق واحد مع الملائكة، نشترك مع رؤساء الملائكة، ونُسَبّح مع السرافيم". ويحثّنا القدّيس يوحنا الذهبي الفم فيقول: "إفتكر مَن تُشكّل معهم جوقاً واحداً، وهذا وحده يكفي ليقودك إلى الزُهد، عندما تتذكّر أنّه بينما أنتَ ترتدي جسماً وبشرة فقد جُعلتَ أهلاً لتُسَبّح ربّ الجميع الواحد، مع القوّات السماويّة".

مع القوّات الملائكيّة نرفع نحنُ البشر الخطأة الضعفاء التسبيح ذات الثلاث تقديسات. "كم هي عظيمة هبات المسيح! فوق في السماء ، تُمجّده المراتب الملائكيّة. وأسفل، في الكنائس المقدّسةيرتّل البشرمثل الملائكة. في السماء السرافيم يرتّلون هذا التسبيح. وعلى الأرض، حشد المؤمنين داخل الكنائس يرفع النشيد نفسه. لقد إلتأم احتفال مشترك، احتفال السماويّين والأرضيّين، شُكر واحد، بهجة واحدة، خدمة فَرحة واحدة. هذا المحفل جمعه تنازل المسيح الذي لا يوصَف، وضَبَطه الروح القدس. تجانس ألفاظ الخدمة بلغ كماله بإرادة الآب. تجانس نشائد هذا المحفل سماويّ، يتحرّك كما لو بلمسة من الثالوث القدّوس، وترتل النغمة المغبطة الطَربَة، النشيد الملائكيّ، التوافق الذي لا ينقطع" (**الذهبي الفم**).

السماء والأرض يسيران معاً إلى المائدة المقدّسة. الخليقة المنظورة وغير المنظورة التأمت حول الربّ، وباتّفاق واحد، تحتفل معاً ممجّدة إيّاه.

الكاثدرا العالية

بالتسبيح ذي الثلاث تقديسات، يشترك الكاهن والمؤمنون مع الملائكة في تمجيد اللّه. الآن، الكاهن والشمّاس بانتقالهما بين المذبح والكاثدرا العالية يُشبهان الطغمات الملائكيّة "التي بجناحين إثنين تطير" حول عرش اللّه وتمجّده "بتمجيدات لا تفتر". هكذا إذاً ، ليس فقط بالتسبيح بل أيضاً بالحركة نعيش اشتراك السماء والأرض في الخدمة نفسها.

بانتقال الكاهن إلى المذبح، يُمجّد الربّ الآتي إلى عالمنا: "المُبارك الآتي باسم الرب". الربّ الآتي هو "مُبارك وابن المُبارك". نباركه ونُمجّده، "ليسَ لأنّنا نقدّم له أمراً ما، بل لأنّنا نحنُ أنفسنا نجني أمراً عظيماً بقدومه إلينا" (الذهبي الفم).

نحنُ نقدّم للمسيح "كلمة صالحة"، أمّا هوفيهبنا لنا ذاته، فهو "**الكلمة**" و "**الصلاح**". من المذبح يذهب الكاهن إلى الكاثدرا العالية، أي إلى عرش الأسقف الموجود إلى شرق المائدة المقدّسة. وعرش الأسقف يرمز إلى عرش اللّه. وهذا ما يُشير إليه التمجيد الذي يرفعه الكاهن: "مبارك أنت على عرش مجد مُلكك" ، وهي عبارة واردة في نشيد الفتية الثلاثة. وفي الوقت عَينه يتشبّه الكاهن بالشروبيم الذين يُباركون اللّه: "مُبارك مجد الربّ من مكانه».

والقدّاس الإلهيّ الذي يُقام على الأرض هو صورة حيّة لذاك الذي يُقام في السماء: "بعد هذا نظرتُ وإذا جمعٌ كثيرٌ لم يستطع أحد أن يعدّه من كلّ الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سُعف النخل وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين: آمين. البَرَكة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوّة لإلهنا إلى أبد الأبد. آمين" (رؤ٧:٩-١٢).

ثُمَّ يقول **الشمّاس**: لنُصغِ.

والقارىء يقول استيخُن البروكيمنن.

الشمّاس: حكمة.

فيتلو **القارىء** عنوان الرسالة.

الشمّاس: لنُصغِ.

ثمّ يقرأ **القارىء** فصل الرسالة والشمّاس يُبَخّر المائدة المقدّسة، الأيقونات والشعب من الباب الملوكي.

وإذ ينتهي القارىء من قراءة فصل الرسائل يقول **الكاهن**: السلام لكَ أيّها القارىء.

الشعب يُرتّل : هليلويا (ثلاث مرّات).

حضور المسيح الذي سَبَقَ الإنباء عنه

قبل قراءة فصل الرسالة، يقول القارىء البروكيمنن، لأنّه يُدخلنا إلى سرّ الكلمة. يقول القدّيس جرمانوس إنّ البروكيمنن يُشير إلى انكشاف الأسرار الإلهيّة والإنباء السّابق بحضور الملك، أي المسيح ؛ لذلك يُستخدم كبروكيمنن، استيخونات من المزامير ، لأنّها تُحدّثنا عن عظائم اللّه.

كان البروكيمنن ، فيما مضى ، عبارة عن مزمور بكامله يرتّله الشعب بالتناوب على شكل جوقَين. ويقول القدّيس مكسيموس إنّ جمال هذه الأناشيد، كما هي الحال بالنسبة إلى كلّ الأناشيد في القدّاس الإلهيّ، تُظهر "عذوبة الخيرات الإلهيّة. عذوبة تدفع النفس نحو محبّة اللّه البريئة والمغبوطة، وتُثير كُرهاً أعظم تُجاه الخطيئة". والنفس ممتلئة بالعشق الإلهيّ "تنسى أتعاب الفضيلة التي تكبّدتها، فهي أتعاب عابرة. أمّا تلك الخيرات الإلهيّة غير الفاسدة التي لم يحصل إقتناؤها بعد، فترغب فيها بشدّة وتطلبها بزخم شبابي".

الترتيل يُنقّي قلبنا ويُنير ذهننا لنتقبّل رسالة خلاصنا: "عندما يحمل لنا الترنيم تجانس استعداداتنا النفسيّة مع الخدمة التي ستجري بعد قليل وتوافقها مع أصوات الأناشيد الإلهيّة، فهذا يدفع بطبيعة الحال إلى التوافق مع الإلهيّات، وإلى التوافق بيننا وبين الآخرين ... ما يبدو لنا مُقتضب وغير جَليّ تماماً في المزامير المُرتّلة، يُصار إلى توضيحه بِصُوَر أجلى من خلال القراءات المُستقاة من الكتاب المقدّس".

قد رأينا مجده

كُل الجزء الأوّل من القدّاس الإلهيّ يُلَخّص بآية من إنجيل يوحنا: "الكلمة صارَ جسداً وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب، مملوءاً نعمة وحقّاً" (يو١:١٤).

بالقراءات الشريفة نعيش سرّ تجسّد الكلمة. وبالأنافورا المقدّسة تُخدم تقدمة الكلمة والإشتراك فيه.

ويقول البّار نيقولاوس كاباسيلاس إنّ القراءات "تُشير إلى ظهور الربّ كما حصلت رويداً رويداً منذ ظهوره الأوّل بين البشر. لأنّه في البدء يبرز الإنجيل الشريف مُغلقاً (أي أثناء الدورة الصُغرى). وهذا يُشير إلى الظهور الأوّل للمسيح في العالم، حيثُ يُظهره الآب صامتاً خلال هذه الفترة ... أمّا القراءات الشريفة فتُشكّل ظهوراً أكمل له ... لذلك نقرأ ليس فقط الرسائل بل أيضاً الإنجيل نفسه".

القراءات الشريفة هي كلمة اللّه: إنّها لاهوت. والأنافورا المقدّسة هي عمل محبّة اللّه: إنّها عمل إلهي. "هكذا إذا، فالعمل الإلهيّ هو استعادة تامّة للاهوت". بالكلمة الإلهيّة وبالعمَل الإلهيّ ـ بالليتورجيا الإلهيّة كلّها ـ نسمع المسيح ، نُشاهده ، ونشترك بحياته الإلهيّة.

سبّحوا اللّه

فرح المؤمنين بظهور كلمة اللّه، الصائرة بواسطة القراءات الإنجيليّة، يُعبّر عنه بتسبيح هللويا، أي ما معناه: سبّحوا اللّه. اللفظة نفسها وطريقة ترتيلها يُعبّران فعلاً عن الفرح. فرح بمجيء الربّ إلى اجتماع أولاده. يقول البّار نيقولاوس كاباسيلاس إنّه "قبل ظهور الربّ لم يكُن بمقدور الإنسان أن يفرح، لأنّ المسيح وحده حمل إلينا الفرح. وإذا سَبَقَ لأحدهم أن فرحَ قبل مجيئه، فهذا سببه أنّه قد وَلَجَ إلى سرّه (أي سرّ المسيح)، كما يقول الربّ نفسه: "إبراهيم تهلّل بأن يرى يومي فرأى وفَرِحَ" (يو٨:٥٦).

الفرح الحقيقي حمله المسيح إلى العالم، لأنّه هو وحده الفرح الحقيقي وبهجة الإنسان. إنّه "بهجة النفوس التي تولَد في النفوس أثناء إجتماع المؤمنين". (القديس باسيليوس الكبير).

والمؤمنون ، أمام المائدة المقدّسة، يعيشون حضور الربّ ويتهلّلون. كما بالضبط الطغمات الملائكيّة، لأنّها تُمجّد اللّه على الدوام حول العرش الإلهيّ ، "فهي في فرح دائم وحبور ليس من هذا العالم، وابتهاج لا ينقطع، تُمجّد بأصوات لا تفتر، تطرب وتبتهج" (القديس يوحنا الذهبي الفم).

كما القدّيسون كذلك نحنُ أيضاً نفرح بحضور "**الفرح**" إلى العالم، **أي المسيح**، ونرتّل عفويّاً: "هليلويا، هليلويا، هليلويا"

ويقول **الشمّاس**: إلى الرب نطلب. يا رب ارحم.

ويتلو **الكاهن**: الأفشين: أيّها السيّد المُحب البشر. أشرق في قلوبنا النّور الصافي نور معرفتك الإلهيّة، وافتح أعيُنَ ذهننا لفهم تعاليم إنجيلك. ضَع فينا خشية وصاياك المغبوطةحتّى إذا وطئنا كلّ الشهوات الجسديّة، نسلُك سلوكاً روحيّاً. فنفتكر بكلّ ما يرضيك ونعمله، لأنّك أنت إستنارة نفوسنا وأجسادنا أيّها المسيح الإله. ولك نُرسل المجد مع أبيك الذي لا بدء له وروحك الكليّ قدسه، الصالح والصانع الحياة الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

يتبع في العدد القادم

القديسة بيلاجية التائبة

حسب نصّ الشمّاس يعقوب الذي عاش في عصر هذه القدّيسة وسَرَد لنا قصّتها وكان ذلك في منتصف القرن الخامس الميلادي

مقدّمة

يجدر بنا دائماً أن نقدّم تشكرات عظيمة إلى ربّنا ، الذي لا يشاء موت الخاطىء ، بل أن يُدخِل كلّ النّاس بالتوبة إلى الحياة.

إسمعوا إذن الأعجوبة التي قد صُنِعَت في زماننا.

إنّي أراه أمراً صالحاً ، أنا يعقوب الخاطىء، أن أكتب لكم أيّها الإخوة المقدَّسين حتى تعرفوها إمّا بالإستماع أو بالقراءة ، فتأخذوا لنفوسكم تعزية قويّة منها. لأنّ اللّه الرحيم الذي لا يرغب أن يهلك إنسان، قد وضَعَ أنّه من المُمكن إفتداء الخطايا هنا في هذا العالم ، حتى يكون هناك في العالم الآتي دينونة عادلة حيثُ ينال كل إنسان بحسب أعماله.

والآن، أُنصتوا لي ، وانظروني بكل عزم قلوبكم، لأنّ قصّتي هي قصة توبة زاخرة..

١ - المرأة الخاطئة في المدينة

أُسقف أنطاكية الكليُّ الطوبى، جَمَعَ كل الأساقفة المجاورين لإيبارشيته ليتباحثوا في مسألة معيّنة. وإلى هناك أتى ثمانية أساقفة ليجتمعوا معاً وكان من بينهم قدّيس اللّه **نونوس** أُسقُفي (أي أسقف يعقوب الشمّاس وهو أسقف بعلبك)، وكان رجلاً عجيباً عظيماً وراهباً مُتفوّقاً في حياته من دير يُقال له: «**تابينا**». وبسبب طريقه العالي والمُبارَك أُخذَ من الدير وسيمَ أُسقفاً.

وإذ أتينا معاً إلى المدينة المذكورة رتَّبَ لنا الأسقف إقامة في **بازيليكا القدّيس يوليان الشهيد**. ثمّ توجّهنا إلى حيثُ جلسَ الأساقفة الآخرون بجانب الباب. وإذ جلسنا اتّجهت أنظار الأساقفة إلى معلّمي **نونوس** لعلّهم يأخذون من شفتيه تعليماً. وبدأ الأسقف في الحال يتحدّث قاصداً خلاص كل من يسمعه.

وبينما نحنُ جالسون ومتعجّبون من تعليمه المُقدّس ؛ يا للعجب ... فجأة ...مرّت أمامنا ... أولى ممثلات أنطاكية ... وأولى راقصاتها !!

كانت ممتطية جواداً ، في رشاقة كانت تمتطيه ... كانت مُزيّنة، حتى أنّ شيئاً ما لم يكن ظاهراً سوى الذهب واللآلىء والحجارة الكريمة. أما أقدامها العارية فكانت مُخفاة تماماً داخل الذهب واللآلىء ... وكان وراءها صفٌ طويل من الشباب والوصيفات

يرفلون هم أيضاً في أردية غالية الثمن، وحول أعناقهم قلائد ثمينة ، البعض كان يسير أمامها والبعض خلفها ...

وإذ عبرت على جمعنا ملأت الهواء بشذى المسك والروائح العطرة الجميلة ؛ وحين رآها الأساقفة راكبة هكذا بلا احتشام وعارية الرأس والكتفين وفي هذا الموكب الحافل دون أن تضع ولا حتى بُرقعاً على رأسها أو كتفها، تأوهوا جميعهم - وفي سكون حوَّلوا رؤوسهم عنها كما عن خطيّة عظيمة مُخزية.

أمّا المُبارك **نونوس** فقد تعمّد أن يلتفت لها. وبعد أن عَبَرَت ظَلَّ ينظر نحوها وعيناه تُلاحقانها ... وإذ أدار وجهه رفع نظره إلى الأساقفة الجالسين حوله وقال لهم: «**ألم يَسُرُّكم رؤية جمالها العظيم ؟!!**».

وأيضاً لم يجيبوا بشيء ... فقال لهم:

- الحقّ إنه قد سرَّني أنا ، وقد كنتُ مسروراً بجمالها أنا الذي سوفَ أَمثُل أمام كُرسيّ اللّه العظيم المهوب حين تكون دينونة نفوسنا وأُسقفياتنا!

وأردفَ يقول للأساقفة:

- ماذا تظنّون أيّها الأحباء ، كم من الساعات قضتها هذه المرأة في مخدعها تستحم وتُزَيّن نفسها بكل الإهتمام، وذهنها كلّه مُركّز على خشبة المسرح، حتى لا يصير في جمال جسمها وملابسها أيّة شائبة أو عيب لكي تصير متعة لكل عيون الرجال وحتى لا تُضايق هؤلاء المحبّين التافهين الذين بين عشيّة وضُحاها يختفون؟ ونحنُ الذين لنا في السماء أبٌ قادر على كل شيء ومحب أبدي، وبوعد غناه وأكاليله الأبديّة التي هي فوق كل تصوّر ، ما لم تره عين ولم تسمع به أُذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعدَّه اللّه للذين يحبّونه - ولكن ما الحاجة إلى مثل هذا الحديث بعد؟ أمام هذا الوعد أن تكون لنا رؤية العريس ، هذا الوجه العظيم الذي لا يوصف الذي لا يجرؤ الشاروبيم أن ينظروه ، نحنُ لا نهتم ولا نحرص أن نُنَقّي من الوسخ نفوسنا المسكينة بل نتركها باقية في نتانتها.

وبعد ذلك وضع يده عليَّ ، أنا الشمّاس الخاطىء ، وأخذنا طريقنا إلى مكان مبيتنا حيثُ أُعطيَت لنا هناك حُجرة. وإذ وصل إلى غرفته الخاصة ألقَى بنفسه على الأرض العارية ووجهه على الأرض وبدأ يبكي وهو يقرع على صدره ويصرخ قائلاً:

«يا سيّدي المسيح إرحمني أنا الإنسان الخاطىء غير المستحق ، لأنّ زينة يوم واحد لإمرأة واحدة لتفوق كثيراً زينة نفسي لك. بأي وجه سوفَ أتطلّع إليك؟ وبأيّة كلمات سوفَ أُبرّر نفسي حين رؤياك؟ لن أخفي عليك قلبي وأنت تعرف خباياه. ويلٌ لي أنا غير المستحق أنا الخاطىء لأنّي أقف في هيكلك ولا أهبك نفساً طاهرة أنت تطلبها . هذه قد وعدت أن تُسرَّ الرجال وحفظت كلمتها. أما أنا فقد تعهّدت أن أُرضيك ، وفي تَهاوني قد حنثتُ. عريانٌ أنا في السماء وعلى الأرض لأنّي لم أصنع وصيّتك. رجائي ليس في شيء صالح صنعته ، لكن رجائي في رحمتك حيثُ أنا أضمن خلاصي!».

هكذا كان يُصلّي وهكذا كان ينتحب، وبقوّة كرَّسنا في هذا النهار صوماً للّه.

٢ - سيف الروح

وفي اليوم التالي وكان يوم الأحد وبعد أن أنهينا تسبحة نصف الليل تحدّث معي الأسقف الصالح **نونوس** قائلاً:

ـ «أيّها الأخ الشمّاس ، هلم أخبرك بحلم قد حلمته واضطربتُ جداً منه ، لأنّي لا أستطيع له تفسيراً».

ثُمَّ أخذ يقص عليَّ كيف أنّه رأى في منامه حمامة سوداء واقفة على قرن المذبح وكانت مُلوّثة ومُلطّخة بالقذارة:

ـ «وظلّت تطير حولي ، وبصعوبة كنتُ أطيق نتانتها ووسخها ، وظلّت هكذا بالقرب منّي إلى أن انتهى قُدّاس الموعوظين. وبعد ذلك، وبعد أن أعلن الشماس بدء قدّاس المؤمنين، اختفت عن الأنظار. وبعد أن ألقيت قدّاس المؤمنين ثم التقدمة وصرف المجتمعين وبعد أن رسمتُ عتبات بيت اللّه بالصليب ، جاءت هذه الحمامة مرّة أُخرى في وسخها كلّه وأَخَذَت تطير حولي، لكنّي مددتُ يدي وأمسكتُها وغطَّستُها في جرن المياه المقدّسة الذي عند باب الكنيسة. حينئذ تركت كل القذارة التي كانت ملتصقة بها في المياه وخرجت من المياه بيضاء كالثلج. ثم طارت إلى فوق وحملها الهواء واختفت عن أنظاري».

وانتهى الأسقف الصالح **نونوس** من سَرده لخبر حلمه. ثُمَّ أخذني من يدي وجئنا إلى الكاتدرائيّة الكبرى حيثُ بقيّة الأساقفة، فحيّا أساقفة المدينة. وإذ دخل تحدث مع كل إكليروس الكنيسة وجلس معهم في خورسهم. وبعد الصلاة وقراءة الكُتب المقدّسة، سلَّم أُسقف المدينة الإنجيل **لنونوس** القديس ورجاه أن يتكلّم للشعب.

وتحدّث **نونوس** بحكمة اللّه التي تسكُن فيه، بدون زيف أو اصطناع أو فلسفة كلام، بلا عدم لياقة وبلا غرور بشري، إنّما وهو ممتلىء من الروح القدس كان يتحاجج مع الشعب ويُنذرهم متكلماً من قلبه عن الدينونة الآتية وعن البركات الأبديّة المذّخرة.

وهكذا تحرّك كلّ الشعب بكلماته التي كان الروح القدس يتحدّث بها على فمه حتى أنّ أرض الكنيسة تبلّلت بدموعهم.

وبتدبير الروح القدس يحدث أنّ هذه المرأة الزانية التي تحدّثنا عنها تأتي لهذه الكنيسة بالذّات في ذلك اليوم.

بأُعجوبة تمّ هذا ، فإنّ تلك التي لم تأت على فكرها ذكر خطاياها والتي لم تعبر من باب الكنيسة قطّ. فجأة ضُرِبَت **بخوف اللّه** بينما **نونوس** يخاطب الشعب . وإذ قنطت من نفسها سقطت في أسى عظيم وبدأت دموعها تتساقط كأنهار ، ولم تستطع بأي حال أن توقف نحيبها.

وهناك وفي هذه اللحظة أعطت الأمر لإثنين من صبْيَتها قائلة: «إبقيا في هذا المكان، وحينما يخرج الأسقف الصالح **نونوس** إتبعاه واسألاه أين يمكث وتعاليا واخبراني».

وصَنَعَ الصَبيّان كما أمرتهما سيّدتهما وتبعاه إلى بازيليكا القدّيس يوليان الشهيد حيثُ كانت قلايتنا. وحينئذ رجعا ثانية إلى سيّدتهما وقالا لها: «إنّه يمكث في بازيليكا القدّيس يوليان الشهيد».

٣ - رسالة عن الإشتياق الأوّل

وحينئذ أرسلت توّاً رسالة مكتوبة مع نفس الصَبيّين. وكان مكتوباً فيها هذه الكلمات:

ـ «إلى تلميذ المسيح القدّيس» ،

« من تلميذة الشيطان وإمرأة خاطئة»،

« لقد سمعتُ عن إلهك الذي ترك السموات ونزل إلى الأرض ليس من أجل خاطر الأبرار بل من أجل أن يُخلّص الخطاة ، وأنّه كان متواضعاً جداً حتى أنّه كان يدنو من السكّيرين. وهو الذي لا يجرؤ الشاروبيم أن ينظروه ، صَادَقَ الخطاة ؛ وأنتَ يا سيّدي أنتَ أيّها القدّيس العظيم، أنتَ الذي لم تنظر إلى ربّنا يسوع المسيح بعيون جسديّة ، ذاك الذي أَظهَرَ ذاته للمرأة السامريّة عند البئر وقد كانت زانية ـ إلاّ أنّك عابدٌ له ، لأنّي قد سمعت عنك من أحاديث المسيحيين: فإن كنت حقّاً تلميذاً حقيقيّاً لهذا المسيح ، فلا ترذلني إذ أنا راغبة أن أرى ـ بواسطتك ـ المخلّص ، إذ بِكَ أستطيع أن آتي إلى رؤية وجهه القدّوس».

٤ - التوبة

حينئذ ردّ عليها الأسقف القدّيس **نونوس** بخطاب:

«مهما كُنت فأنت معروفة لدى اللّه بذاتكَ ومهما كان هدفك ورغباتك ؛ ولكنَ أوكّدَ عليك ، لا تُحاولي أن تُجرّبي ضعفي لأنّي أنا إنسان خاطىء خادم اللّه ، وعلى كل حال إن كان لك رغبة نحو الأمور المقدّسة ، واشتياق للصلاح والإيمان وترغبين حَقّاً أن ترينه ، فهناك أساقفة آخرون معي ؛ تعالي وسوفَ ترينني في محضرهم لأنّكِ لن تريني وحدي».

وقرأت هذه المرأة الزانية الرسالة وامتلأت بالفرح وقامت مسرعة لتأتي إلى بازيليكا القدّيس يوليانوس وأرسلت إلينا أنّها قادمة.

وحينما سمع أبي الأسقف ذلك، جمع إليه كلّ الأساقفة الذين كانوا في هذا المكان ... ثمّ أمرها أن تأتي إليه.

ودخلت حيثُ كان الأساقفة مجتمعين وألقت بنفسها على الأرض وأمسكت بقدمي المبارك **نونوس** قائلة:

ـ سيّدي، أتوسل إليك أن تسلُكَ كما سَلَكَ مُعلّمك السيّد المسيح واسكُب علَيَّ من رحمتك واجعلني مسيحيّة. سيّدي أنا بحر من الشرور، أنا أرض آثام. أسأل أن تُعمّدني.

وبصعوبة استطاع أن يرغمها أن ترتفع من عند قدميه، وحينما قامت قال لها:

ـ إنّ قوانين البيعة تحتّم أن لا تُعمّد زانية ما لم تُقدّم تأكيداً، ليكون هناك ثقة من أنّها لن تسقط مرّة أخرى في خطاياها القديمة.

وإذ سمعت هذا القرار من الأسقف ألقت بنفسها مرّة ثانية على الأرض وأمسكت بقدميّ القدّيس **نونوس** وأخذت تغسلهما بشعر رأسها صارخة إليه:

ـ سوفَ تجاوب اللّه عن نفسي ، وأنا سوفَ أُدان عن أعمالي الشرّيرة، إن كنتَ تتأخّر في تعميدي من خطاياي السّابقة. لن تجد نصيباً في بيت اللّه بين القدّيسين إن لم تُخلّصني من خطاياي: إنّك إن لم تَلدني اليوم من جديد عروساً للمسيح وتهبني للّه ، تُنكر اللّه وتصير عابداً للأوثان.

وإذ رأى كلّ الأساقفة والإكليروس الذين كانوا مجتمعين كيف كانت الخاطئة العظيمة تلفظ بهذه الكلمات قالوا في تعجّب إنّهم لم يروا أبداً إيماناً بمثل هذا ولا رغبة للخلاص كما عند هذه المرأة الزانية.

٥ - التجديد بالمعموديّة

وللتوّ أرسلوني ، أنا الشمّاس الخاطىء ، إلى أُسقف المدينة لأوضح له الأمر ولألتمس من قداسته أن يبعث بشمّاسه معي. وحينما سمعني الأسقف تهلّل فَرِحاً قائلاً: «الحقّ أيّها الأب الجليل إنّ هذا العمل ما كنتُ أنتظره».

وأرسلَ معي السيّدة **رومانا** رئيسة الشمّاسات.

ولمّا أتت وجدت المرأة ما زالت تحت قدميّ الأسقف القدّيس **نونوس**، وبصعوبة كان يُحاول أن يقنعها أن تقوم من على قدمية قائلاً لها:

ـ قومي أيّتها الإبنة حتى يمكنك أن تُقرّي بخطاياك!

ثمّ قال لها: «إعترفي بخطاياك».

فأجابت:

ـ إن أنا عزمت أن أفحص كلّ أعماق قلبي فلن أستطيع أن أجد شيئاً ما صالحاً. أنا أعرف خطاياي، إنّها أثقل من رمال البحر، ومياهه تتضاءل أمام هول خطاياي ، ولكنّي أثق في إلهك أنّه سوفَ يحل كل أعمالي الرديئة ويتطلّع إليّ.

حينئذ قال لها الأسقف: «أخبريني ما اسمك؟»

فأجابت: « إسمي بيلاچية الذي لقّبني به أبي وأُميّ، ولكن شعب أنطاكية أطلقَ عليّ (مارچاريتا) بسبب (لآلىء) خطاياي: لقد كنتُ جوهرة الشيطان ومخزناً لأسلحته»(مارچاريتا باليونانيّة تعني جوهرة)

وسألها الأسقف **نونوس** ثانية: «هل اسمك هو بيلاچية؟»

فأجابت: «نعم يا سيّدي».

حينئذ أتمّ الأسقف إجراءات جحد الشيطان منها ثمّ عمّدها ورسم عليها بعلامة الصليب وناولها جسد المسيح ودمّه. أمّا اشبينتها فكانت رومانا رئيسة الشمّاسات التي أخذتها وذهبت بها إلى مكان الموعوظين ، هناك حيثُ ستتركها فترة من الزمن.

وقال لي الأسقف القدّيس **نونوس**:

٦ - هزيمة إبليس

ـ إسمع أيّها الأخ الشمّاس ، هَلُمَّ نتهلّل اليوم مع ملائكة اللّه ونأخذ زيتاً فوق العادة على طعامنا ونشرب نبيذاً بابتهاج قلب من أجل خلاص هذه الفتاة.

وإذ كُنّا جالسين على طعامنا أتانا فجأة صوت صياح كما من رجل يُعذّبونه وكان هو الشيطان. كان يصيح قائلاً:

ـ «ويلٌ لي من أجل كلّ ما قاسيته بسبب هذا الرَجُل العجوز المتداعي. ألا يكفيك الثلاثة آلاف شخص الذين اغتصبتهم منّي وعمّدتهم لإلهك؟ ألعلّ هليوبوليس كلّها لم تَصر كافية لك. كانت لي والذين فيها كانوا يعبدونني وأنتَ اغتصبتها منّي ووهبتها لإلهك، والآن لقد سرقتَ أعظم رجائي وأنا لم أعُدْ أحتمل دسائسك ومكائدك ضدّي، ملعونٌ هو اليوم الذي فيه قد وُلدتَ أنتَ ، أنهارٌ من الدموع تُغرّق بيتي المسكين لأنّ رجائي قد ضاع».

كلّ هذا صنعه الشيطان إذ كان يصيح بصوتٍ عالٍ منتحباً ونادباً خارج الباب ، وكلّ الرجال سمعوه.

٧ - التكريس

ومرّة أخرى أتى وصاحَ في الفتاة:

ـ كلّ هذا صَنَعته فيَّ يا سيّدتي بيلاچية وتبعت يهوذاي! لأنّه وهو مُكلّل بالمجد والكَرامة وقد اعتُبر رسولاً خان سيّده ، وهكذا أنتِ فعلتِ معي.

حينئذ قال لها الأسقف **نونوس**: «إرسمي نفسك بصليب المسيح واجحديه». فرسمت نفسها باسم المسيح ونفخت على الشيطان وللتوّ اختفى.

وبعد يومين وبينما كانت نائمة مع اشبينتها السيّدة التقيّة رومانا في غرفتها، ظهَر الشيطان ليلاً وأيقَظَ بيلاچية خادمة اللّه وقال لها:

ـ «أخبريني يا سيّدتي مارچريتا ، ألم تكوني غنيّة بالفضّة والذهب؟ ألَم أُزَيّنك بالذهب والحجارة الكريمة؟ أخبريني ألم ألتزم بأن أُفرحك؟ أخبريني حتى أُرضيكِ ـ ولكن لا تجعليني هُزْءاً وسُخرية للمسيحيين».

حينئذ رسمَت بيلاچية نفسها، ونفخت في الشيطان وقال له:

ـ «إلهي الذي اختطفني من بين مخالبك وأحضرني إلى حجاله، هو نفسه سوفَ يُحاربك عنّي» ... وللتوّ اختفى الشيطان.

ثلاثة أيام بعد أن تعمّدت بيلاچية ، نادت الذين كانوا يخدمون في بيتها وقالت لهم:

ـ «إذهبوا إلى مخدعي واعملوا حصراً لكل شيء هناك من ذهب وفضّة أو حلي أو ملابس فاخرة واحضروها لي».

وصنع الصبي كما أمرته سيّدته وأحضَر لها كلّ متاعها. حينئذ سألت الأسقف القدّيس **نونوس** أن يأتي إليها ، إذ أرسلَت له كلمة بواسطة إشبينتها السيّدة رومانا. ووضعت بيلاچية كل أشيائها بين يديها قائلة لها:

ـ « هذا ، يا سيّدتي هو الغِنَى الذي وهبني إيّاه الشيطان. إنّي

أُعطيه لَك لتفعلي به كما شئتِ وكما ترينه صالحاً أن يُفعَل به ، لأنّه قد صار غنى للسيّد المسيح».

حينئذٍ استدعى الأسقف أمين صندوق الكنيسة فوراً. وفي حضورها سلَّمه كل متاعها قائلاً:

ـ «أُشْهِدَكَ باسم الثالوث الواحد أنّ شيئاً من هذا لا يذهب بتاتاً إلى صندوق الأسقفيّة أو الكنيسة ، إنّما يُوَزَّع على الأرامل والأيتام والفقراء حتى أنّ ما جُمِعَ بالشَرّ يُوَزَّع في الخير ، وثروة الخاطىء تصير كنزاً للبرّ. وإن أنتَ حنثت بقسمك وسُرِقَ شيء فستدخل اللعنة بسببك أو بسبب غيرك. أيّاً كان ، على بيته ويصير نصيبه مع أولئك الذين صرخو: (إصلبه).

أما هي من جانبها فقد نادت كلّ صبيانها ووصيفاتها وأعطتهم حُرّيتهم، وبيديها أعطتهم قلائد ذهبيّة قائلة لهم:

ـ «أسرعوا وحرّروا نفوسكم من هذا العالم الخاطىء غير المستحق ، حتى أنّه كما كُنّا معاً في تلك الحياة فلنحيا معاً في هذه الحياة الجديدة بلا حُزن».

٨ - إنطلاق بيلاچية

إلاّ أنّه في اليوم الثامن ، وحينما كان يجب أن تخلع بيلاچية عنها أرديتها البيضاء (التي ارتدتها يوم المعموديّة)، إستيقظت ليلاً بدون معرفتنا وخلعت رداء المعموديّة الأبيض **واردت التونيّة والعباءة الخاصتين بالأسقف نونوس**. ومنذ ذلك اليوم لم تَعُد تُرى في كل مدينة أنطاكية.

وأخذت القدّيسة رومانا تبكي عليها بدموع وبحرقة ، ولكن الأسقف **نونوس** عزَّاها قائلاً: «لا تبك ، لأنّ بيلاچية قد اختارت النصيب الأصلح مثل مريم التي فضَّلها المَسيح عن مرثا في الإنجيل».

أما بيلاچية فكانت قد انطلقت إلى أورشليم وَبَنَت لنفسها قلاّية في جبل الزيّتون ، هناك حيثُ صَلّى سيّدنا يسوع المسيح.

٩ - بيلاچيوس النّاسك

بعد قليل من الوقت دعا أسقُف المدينة كلّ الأساقفة معاً ليصرف كلاًّ منهم إلى مكانه.

وبعد ثلاث أو أربع سنين إشتاقت نفسي ، أنا يعقوب الشمّاس ، أن أُسافر إلى أورشليم حتى أُعيّد قيامة ربّنا يسوع المسيح. فسألت أُسقفي إن كان يأذن لي بالإنطلاق.

وبينما هو يمنحني الإذن قال لي:

ـ «إسمع أيها الأخ الشمّاس، حينما تصل إلى أورشليم إسأل هناك عن أخ اسمه بيلاچيوس. هو راهب عاش هناك عدّة سنوات مُغلقاً على نفسه وفي عُزلة. إن استطعت فَزُرهُ فإنّك سوف تنتفع منه كثيراً». وكان يتكلّم كلّ الوقت عن خادمة اللّه بيلاچية أما أنا فلم أكن أعرف.

ووصلت إلى أورشليم. وعيَّدتُ القيامة المقدّسة التي لمخلّصنا يسوع المسيح ، وفي اليوم التالي سألت عن عابد اللّه هذا.

وأخذتُ طريقي إليه فوجدته على جبل الزيتون حيثُ صَلّى الربّ مُقيماً في قلاية صغيرة مُغلقة من كلّ ناحية. وكان لها نافذة في الحائط. وقرعت على زجاج النّافذة الصغيرة ، ففتحت لي للتوّ وعرفتني ، أما أنا فلم أعرفها!

وكيفَ كان يمكنني أن أعرفها وقد شحبت وهزلت من الصوم، تلك التي رأيتها من قَبل في جَمالٍ لا يوصَف! وعيناها كانتا غائرتين في وجهها. وقالت لي:

ـ أيّها الأخ من أينَ أتيت؟. وأجبت:

ـ «لقد أُرسلتُ بأمر من **نونوس** الأسقف». فقالت لي:

ـ «دعه يُصَلّي من أجلي لأنّه قدّيس اللّه».

ثُمَّ أَغلَقَت شُرفة النّافذة وبدأت ترفع صلاة وتسبحات السّاعة الثالثة ، أما أنا فأخذتُ أُصلّي بجانب حائط قلايتها وذهبتُ بعيداً مبهوراً جداً بهذه الرؤية الملائكيّة.

وعدتُ إلى أورشليم وأخذتُ أتنقّل هنا وهناك فيما بين الأديرة زائراً الأخوة.

كان هناك لغط كثير بين الأديرة عن شُهرة القدّيس بيلاچيوس وعزمت في فكري أن أعود مرّة أخرى لأزوره حتى أنتعش بحديثه النّافع. ولكنّي حينما جئتُ ثانية إلى قلايته وقرعت بل حتى تجرأت أن أُناديه بإسمه، لم تَكُن هناك إجابة ما.

وعدتُ ثانية وانتظرتُ يوماً ثانياً وثالثاً مُنادياً في كلّ مرّة: «يا بيلاچيوس». ولكنّي لم أسمع شيئاً. حينئذ قلتُ لنفسي: «إمّا أنّ أحداً ليسَ هنا إو أنّ الراهب الذي كان هنا قد رَحَل».

وتحرّكتُ بإرشاد من اللّه وقلتُ لنفسي. **فلأتأكّد** أنّه لا يكون قد مات. وفتحتُ شرفة النّافذة ونظرت ورأيته ... لقد كان ميّتاً!!

وأغلقتُ النافذة وملأتها بعناية بالطين وجئتُ مُسرعاً إلى أورشليم ، وتلوتُ الأخبار أنّ الراهب التقيّ بيلاچيوس الذي صنع عجائب قد رقدَ بسلام.

١٠ - يسبقونكم إلى الملكوت

حينئذ أتى الآباء الأبرار مع الأخوة من مُختلف الأديرة. وفتحوا باب القلاية ونقلوا الجسد الصغير المقدّس معتبرين إيّاه ثميناً كذهب أو كجواهر . وبينما كان الآباء يدهنون الجسد بالأطياب إكتشفوا أنّ الجسد لإمرأة! وحاولوا عبثاً أن يخفوا العجيبة ولكنّهم لم يستطيعوا ، وصاحوا بصوت عالٍ:

ـ «حمداً لَكَ يا ربّنا يسوع المسيح إذ لكَ كنوز مخفيّة في كل الأرض. إذ لكَ ليسَ رجال فقط بل ونساء أيضاً».وشاعَ الأمر في خارج البلاد. وكل أديرة العذارى جئن ، البعض من أريحا والبعض من الأردن حيثُ تعمّد السيّد المسيح ، بقناديل وشموع وتسابيح. وهكذا دُفنَ الرفات المقدّس ، وحملها الآباء القدّيسون إلى قبرها. ما أعظم أعمالك يا ربّ كلّها بحكمة صنعت، فبصلوات القدّيسة بيلاچية التائبة أيها الرب يسوع المسيح إلهنا إرحمنا وخلّصنا . آمين.

طروباريّة القديسة بيلاچية

لقد حُفِظت بكِ الصورة التي خُلقنا عليها حفظاً مُدققاً أيتها الأم البارة بيلاچية. فإنكِ حملتِ الصليب وتبعتِ المسيح وعملتِ وعلّمتِ بأن يُتغاضى عن الجسد لأنه زائلٌ فانٍ ويُعتنى بالنفس لأنها خالدة. فلذلك تبتهج روحكِ مع الملائكة.

القديس يوحنا المعمدان (٢)

هل كان يوحنا المعمدان ينتمي إلى نُسّاك قُمران ؟!

خرجت إلينا بعض الأبحاث المتسرّعة والغير دقيقة، بمزاعم تتحدّث عن صلَة يوحنا المعمدان بنُسّاك قُمران. وسنحاول في هَذا الفصل أن نردَّ على هذه المزاعم. فعلى ضوء الكتاب المقدّس ومخطوطات قُمران، بالإضافة إلى المراجع الهامّة لكبار العلماء ، سنكتشف خطل هذه المزاعم.

بادئ ذي بدء نقول: أنّه لا يوجد أي ذكر ليوحنا المعمدان في مخطوطات قُمران، والمصادر الوحيدة عنه: هي العهد الجديد وكتابات المؤرّخ اليهودي يوسيفيوس ، المُعاصر للربّ يسوع المسيح. ومعلوماتنا عن يوحنا المَعمدان في العهد الجديد ، هي إنجيلا متّى ولوقا ، حيثُ نَعلَم أن يوحنا وُلِدَ ولادة عجائبيّة من عائلة كهنوتيّة (لو١:٥).

أبواه زكريا من فرقة أبيّا ،وهي الفرقة الثامنة من الأربع والعشرين فرقة من الكهنة ، التي كانت تقوم بخدمة الهيكل مناوبة. وأليصابات من بنات هارون ، متقدّمة في العمر (لو١:٧).

ولادة يوحنا المعمدان سَبَقَت ولادة الربّ يسوع بستّة أشهر (لو١:٣٦).

عاشَ يوحنا ... في البراري إلى يوم ظهوره للبشارة العلنيّة (لو١:٨٠). كان لباسه من وبَر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد، وطعامه جراداً وعسلاً برياً (متى ٣:٤).

خدمة يوحنا كانت قرب نهر الأردن في منطقة بيت عبرَة (يو١:٢٨).

لم تَدُم بشارته طويلاً ، ربما ستة أشهر.
(The Dead Sea Scrolls and New Testament :William .s. Lasor)

إنّما خلقت إحساساً قوياً لليهود. خافَ هيرودس بسبب تأثير يوحنا المتنامي على الشعب، الذي قد يقود إلى ثورة ضدّة ، لهذا ألقاه في السجن (متى ١٤:١٠). علَّم يوحنا المعمدان تلاميذه الصلاة (لو١١:١) والصوم (متى٩:١٤).

ركّزَ في خدمته على اقتراب ملكوت اللّه ، ولم يعتبر نفسه مُستحقّاً ليَحلَّ سيور حذاء الرب يسوع ، كما شَهدَ بأنَّ الربّ يسوع هو المسيح (المسيّا المُنتظر) ، حَمَل اللّه الذي يَرفع خطيئة العالم (يو١:٢٩).

١) ـ المعمدان كاهن ابن كاهن

حسب ما ورد في إنجيل لوقا ، نعرف أنّ يوحنا المعمدان هو ابن زكريا الكاهن (لو١:٥) ، أي ابن كاهن مُتعهّد بخدمة الهيكل في أورشليم ليلاً ونهاراً، أما نُسّاك قُمران فهم جماعة لا يقدرون أن يتصوروا هذا الهيكل ولا كهنته الذين يخدمون فيه. فكيف يُمكن قبول ابنه بينهم؟ لذا لا نعتقد أنّ يوحنا المعمدان قد عاش معهم ، وإلاّ لكان من الضروري أن يطردوه من بينهم.

٢) ـ حياته في القفر مُنفرداً

يقول جان دانييلوا Jeam Danielou ، وهو من مؤيّدي العلاقة بين يوحنا المعمدان ونُسّاك قُمران: إنّ المنطقة التي كان يُعَمّد فيها هي منطقة قرب نهر الأردن قبل أن يصب مباشرة في البحر الميت ، في هذه المنطقة وعلى بُعد نحو ثلاثة كيلومترات تُوجد ثكنات نُسَّاك قُمران. هذه المنطقة يدعوها متّى البشير «برية اليهودية» (متى ٣:١). ولوقا البشير يقول: «كانت كلمة اللّه على يوحنا بن زكريا في البريّة» (لوقا٣:٢). لهذا يبدو هنا أن كلمة «البريّة» تُشير إلى مكان مُعيّن، لأنها الكلمة نفسها التي اعتاد نُسَّاك قُمران أن يستعملوها ليَصفوا المنطقة التي كانوا يقطنونها. لهذا: لم تكن كلمة «البريّة» تعنَي أية بريّة أو منطقة نائية صحراوية. إنّها تعني موضعاً محدّداً ، وهو الذي وصفه المؤرّخ بليني الكبير ، بأنّه مملوء بأشجار النخيل وبه ينابيع عدّة.

والإعتراضات على هذه النظريّة عديدة:

أولاً، لا نعرف كيف تأكّد Danielou من أن الكلمة اليونانيّة لـ «البريّة» المذكورة في الأناجيل هي نفسها الكلمة العبريّة ذاتها التي أستعملها نُسَّاك قُمران للدلالة على موضعهم.

ثانياً ، من غير المؤكّد تماماً فيما إذا كان بليني يصف قُمران في إشاراته إلى المنطقة ذات النخيل والينابيع. بل يرى بعض الباحثين أن وصف بليني ينطبق أكثر على منطقة أخرى معروفة باسم «عين جدي» ، وإن كنّا لا نعرف كيف كانت حالتها أيّام نُسَّاك قُمران.
(The Scrolls of the New Testament :W Brounlee)

ونقرأ في إنجيل لوقا «أما الصبي، فكان ينمو ويتقوّى بالرّوح ، وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل» (لو١:٨٠)، يرى Danielou أنّه من الصعب على طفل أن ينمو وسط البريّة وحده ، ما لم يتوفّر له مأوى وأُناس يرعونه. لهذا ، فالأرجح ـ حسب إعتقاده ـ أن يكون والدا المعمدان قد عهدا بيوحنا إلى جماعة قُمران (John the Baptist : Carl Krealing). وخاصة وأن يوسيفيوس قد قال عن الأسينيين : كانوا يعزفون عن الزواج ، ولكنّهم يتبنّون

أولاد الآخرين ويعتبرونهم أنسباءً لهم ويربونهم بحسب مبادئهم.

(Infant Baptism in the First Four Centuries :J . Jeremais)

من المنطقيّ جداً أن يتعهّد رعاية يوحنا الصبي جماعة من الناس، إنما ليس بالضرورة جماعة قُمران. إذ توجَد بعض الصعوبات أمام هذه النظريّة ، حيثُ لم تَكُن ملابس يوحنا المعمدان من كتّان أبيض كما هي ملابس الأسينيين. أيضاً من الصعب أن نقبل: كيف يقوم زكريا وأليصابات المنحدران من عائلة كهنوتيّة ، خاصّة زكريا العضو الفعّال في كهنوت أورشليم ، بتسليم الصبي إلى رعاية الأسينيين المعروفين بعدائهم لكهنوت أورشليم ؟! ... والسؤال هو: لماذا يختار زكريا وهو كاهن وقور في أورشليم أن يتعهّد بإبنه الذي انتظره طويلاً والذي حُبِلَ به بصورة عجائبيّة ، إلى جماعة كانت معادية لأورشليم بكَهنتها ؟ هذا ما لم يُجب عليه Danielou . والسؤال الأخير هو : إن كان يوحنا قد تربّى عند الأسينيين ، فلماذا لم يذكر يوسيفيوس هذه الحقيقة قَط في حديثه عن يوحنا المعمدان في مؤلّفه «**تاريخ اليهود**»؟! خاصة وأنّ يوسيفيوس أتى على ذكر ناسك إسمه «**بانوس**» عاش في منطقة قُمران . لذا يُفَضَّل عدم التسرّع بإدراج يوحنا المعمدان ضمن نُسّاك قُمران.

٣) ـ حياته النسكيّة

لقد أقامَ يوحنا المعمدان في القفر ، وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً . ولو كان يوحنا المعمدان واحداً من الأسينيين لالتزم العيش معهم وأن يُحافظ على نذرهم وقَسَمهم أن لا يأكل إلاّ من أكل الجماعة ، أما هو فقد كان يعيش ويأكل مُنفصلاً، وهذا خروج عن نظام الجماعة ، عقابه الطرد.

رَبَطَ بعض الشُرّاح حياة يوحنا المعمدان النسكيّة بنُسك الأسينيين ، علاوة على بتوليّته. وقد وَصَفُوا جماعة قُمران بأنّها جماعة شبه رهبانيّة الطابع ، تعيش حياة نُسكيّة صارمة. وبحسب نصوص المخطوطات ، كانت الجماعة تُنذر الفقر وأنّ البتوليّة هي من أهمّ مميّزاتها . وللردّ على هذا الزعم نقول: وجوه الشَبَه بين حياة يوحنا المعمدان وحياة نُسّاك قُمران ، لا تؤكّد إنتماءيوحنا المعمدان إليهم . فهناك وجوه شبه كبيرة بين الرهبنة المسيحيّة والرهبنات غير المسيحيّة (استعملت تعبير رهبنات غير مسيحيّة مجازاً) من الناحية الظاهريّة ، لكن الإختلافات جوهريّة جداً وإلى أبعد حدّ. هذا بالإضافة إلي النذور النُسكيّة كانت معروفة في العهد القديم . فمثلاً حَنّة كرّست إبنها صموئيل منذُ نعومة أظفاره وأرسلته إلى عالي الكاهن ليحيا للربّ (١صم ١) ، وهذا لا يعني بالضرورة أنّ يوحنا المعمدان قد اتّبع تقليد صموئيل النبي . وما أقصده أن فكرة النذر والتكريس كانت فكرة معروفة قبل الأسينيين .

٤) ـ إستشهاده بسفر إشعياء في كرازته

يقول Danielou ، تمّ الإستشهاد بسفر إشعياء (إش ٤٠:٣)

في مخطوطات قُمران ، كما استشهد يوحنا المعمدان بسفر إشعياء ونفس الآية: «صوتٌ صارخ في البريّة. أعدّوا طريق الربّ. قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا» (إش ٤٠:٣) ، (متى٣:٣) ، (مر١:٣). وللرد على هذا الرأي المُغالط نقول: لم يستعمل يوحنا المعمدان ونُسّاك قُمران هذا النصّ مَن إشعياء إستعمالاً واحداً (أقصد بنفس المفهوم). فبالنسبة لنُسّاك قُمران ، كانَ هدف الذهاب إلى القفر هو الإنعزال عن الشَرّ ودراسة الأسفار الإلهيّة ، وإعداد طريق الربّ يتم بالبحث في النّاموس الذي أعطاه اللّه لموسى ، ولم يتجرأ شخص واحد في قُمران أن يقول عن نفسه إنّه «الصوت الصارخ في البريّة» ، كما قال يوحنا عن نفسه (يو١:٢٣). إذ لا يوجد في مخطوطات قُمران كلّها مَن إدّعَى ذلك . أما بالنسبة ليوحنا المعمدان ، كان «إعداد طريق الربّ » يعني ، ترك عُزلة البريّة والذهاب للتبشير بالإنجيل لكل الخليقة ، لأنّهم يحتاجون إلى التوبة قبلَ مجيء ملكوت اللّه. لم يكن «**الطريق**» يعني ليوحنا المعمدان البحث في الناموس. إنّه التوبة ، الطريق إلى القلب التّائب لإستقبال المسيح المُنتظر. لهذا كان يوحنا «**صوتاً**» مُنادياً في البريّة ، كان هو الملاك الذي يهيء طريقاً (**القلوب**) للربّ.

ومن الملاحظ أيضاً أن موقف يوحنا المعمدان من الناموس اليهودي ، كان مُختلفاً عن موقف الأسينيين. فالأسينيّون أولاد الناموس والحرف ، حياتهم مبنيّة على قراءة ودرس الناموس ومُمارسة الفرائض التي بالنسبة لهم هامّة جداً. أمّا يوحنا المعمدان فقد زَعْزَعَ تلك الثقة الكاذبة في الفرائض الناموسيّة اليهوديّة . لم يُقم وزناً لهذه الفرائض **طالما القلب بعيداً عن التوبة**. ولم يعتبر الغَسلات النّاموسيّة كافية للتطهير. لهذا دعا الناس إلى معموديّة الماء للتوبة. وحتى الفريسيّون الذين فاقوا غيرهم في الإلتصاق الحرفي بالنّاموس كانوا هدف نقده الشديد ، لا بل كانت دينونتهم أعظم بدون توبة نقيّة قلبيّة . لهذا ، فالأقتباس من إشعياء لم يكن له نفس المدلول والتساوي بين المعمدان والأسينيين .

شيء آخر في هذا المضمار وهو: أنّ الدينونة بمفهوم يوحنا المعدان هو بمجيء المسيح الذي سَيُنَقّي بيدره ويجمع قمحه إلى مخزنه ، أما التبن فَسَيُحرَق بنار لا تُطفأ (متى ٣:١٢) ، بينما الدينونة بمفهوم الأسينيين كانت اقتراب نهاية العالم للفصل بين أبناء النّور وأبناء الظلمة (حسب شرحِهم لسفر حبقوق).

٥) ـ معموديّة يوحنا بالماء للتوبة

خَلَطَ بعض الدّارسين ، بين معموديّة يوحنا بالماء والتطهيرات

الطقسيّة لنُسّاك قُمران . وبناء عليه زعموا أنّ هناك علاقة بين يوحنا المعمدان وجماعة قُمران. وللردّ على هذا الزعم نقول:

أوّل ذكر للمعموديّة هو في العهد الجديد فقط ، ومع ذلك نجد في استجابة اليهود لمعموديّة يوحنا ، أنّ فكرة المعموديّة لم تكن غريبة عنهم ولا اتهموه بالبدعة والتجديد. وعندما سأل الربّ يسوع المسيح رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب : من أين كانت معموديّة يوحنا؟ لم يستطيعوا إجابته (متى ٢١:٢٣-٢٧). ولا أثاروا مسألة البدعة هنا. فعلى الأرجح كانت فكرة المعموديّة بالماء معروفة لليهود ، إذ كانوا يستعملونها لتطهير الوثنيين المُهتدين إلى اليهوديّة قبل ختانتهم ، حسب ما ورد في:
(Infant Baptism in the First Four Centuries :J . Jeremais)

ومخطوطات قُمران ، لا يوجَد فيها أيّة إشارة إلى معموديّة لدخول الأعضاء الجُدُد إلى جماعات قُمران. معموديّة يوحنا كانت مختلفة عن اغتسالات قُمران الطقسيّة ، فقد كانت معموديّة لمرّة واحدة تتم مباشرة بعد التوبة والإعتراف بالخطايا «واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم» (متى٣:٦ و مر١:٥). كانت أيضاً متعلّقة بمجيء المسيح لأنّها كانت تهيئة له ولمعموديّة الروح القدس. أما اغتسالات قُمران الطقسيّة فكانت يوميّة ومتكرّرة ، ولا تتم إلاّ بعد نهاية الفترة التحضيريّة الثانية أي بعد سنتَين. ولا توجد أية إشارة في مصادر قُمران إلى أنّ هذه الإغتسالات لها علاقة بالمسيح المنتظر.

٦ - مما سبَق يتضح الآتي

عند دارسي الكتاب المقدّس ، يجب أن توجد دائماً رابطة بين الحدث الحالي وما سبقه. هذا الأسلوب من الدراسة مفيد، إنما ألا نغضّ الطَرْفَ عن أنّ لله تدخلات تدبيريّة إلهيّة في التاريخ البشري ، لا توافق تماماً قوانين البَشَر ومنطقهم. ويوحنا المعمدان أتى فجأة ـ بحسب المنظور البشري ـ ليعدّ الطريق أمام الملك والإله المُزمع أن يدخل إلى مملكته ـ بحسب التدبير الإلهيّ ـ لخلاصها.

لا يوجد سوى واحد هو ملك الملوك ورب الأرباب : الربّ يسوع المسيح. ولا يوجد سوى واحد هو السابق والمُعدّ الطريق للسيّد المسيح إنّه: يوحنا بن زكريا. ولم يوجد في التاريخ البشري سوى واحد هو يوحنا المعمدان ، الذي نال شَرَف تعميد ابن اللّه في الأردن.

لذا نقول : أنّ يوحنا المعمدان لم يَكُن واحداً من نُسّاك قُمران. وهذا لا يمنع أن يكون قد عرفهم وعرفوه ، ولكن مع ذلك ظلّت فرادته شامخة في التاريخ البشريّ ، كما أنّ هناك تباين كبير بين ما نادى به المعمدان ومعتقدات نُسّاك قُمران . فيوحنا بن زكريا كان متفوّقاً على الأسينيين منذ طفولته ، عاشَ منذ صباه في حياة خاصّة ناسكة . لو كان عضواً في جماعة قُمران **(وهذا ما دحضناه)** ، لاستأهل أن يكون رئيساً عليهم لا عُضواً عادياً منهم.

حياة يوحنا المعمدان وتبشيره واستشهاده مرتبطة كلّها بشخص واحد هو الربّ يسوع المسيح. بدون السيّد المسيح يصير المعمدان مُبهماً ، غامضاً ، بل يصير تعليمه لا معنى له ، ومع هذا كلّه ، فالمسيح «حمل اللّه حامل خطية العالم» ،غائب عن الأسينيين . يوحنا عاش لكي ينقص هو ويزيد الرب يسوع. لم يأت ليشهد للمسيح الربّ فقط ، بل جاء ليشهد بأنّ المسيح ، حمل اللّه ، هو ههنا ، حاضر «هوذا ...» وبأنّ الأزمنة المسيانيّة قد حلّت ، في حين كان الأسينيّون ما يزالون ينتظرون المسيّا . كانت دعوة الأسينيين مقصورة على أتباعهم ونُسّاكهم ، أمّا دعوة يوحنا المعمدان فكانت لكل الشعب ، كان يُنادي بمسيح من أجل العالم كلّه ، وليس من أجل اليهود فقط. مسيح حاضر الآن وليس مسيح مُنتظر.

كان يوحنا المعمدان في تبشيره عن ضرورة التوبة لإقتراب ملكوت اللّه ، كان مُنفتحاً على كل المجتمع اليهودي بكل شرائحه، كان يوجّه تعليمه للكتبة وللفريسيين والعشّارين والجنود وسائر الشعب ... وليسَ فقط «**للطاهرين**» كما كانت تعاليم الأسينيين. كان المعمدان يُنادي بأنّ الإلتصاق الحرفي بالنّاموس لا يفيد شيئاً. لم يُقِم وزناً لغسلات اليهود ولذبائحهم وناموسهم ، هذا كلّه لا ينفع شيئاً ، طالماً أنّ اللّه قادر أن يُقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم.

يتبع في العدد القادم

الكاهن والخدمة - للقديس يوحنا الذهبي الفم

الكاهن هو يرأس القطيع الذي يملكه السيّد المسيح. ويقوم بنفس الوظيفة التي استحقّ الرُسل الأطهار أن يقوموا بها ، ولمّا سأل السيّد المسيح بطرس قائلاً: "أتحبّني يا بُطرس" قال: "نعم". قال له السيّد المسيح: "إرعى غنمي". فلقد كان من الجائز أن يقول له يا بطرس إذا كنت تُحبّني صُم الأصوام الطويلة. وافترش الأرض القاسية. واقطع الليالي بالسهر والصلاة. وكُن للمظلومين ناصراً. وللأيتام أباً وللأمهات سنداً. لم يقل شيئاً من هذا، بل قال له "إرعى غنمي".

عندما تكون القضيّة قضية إدارة الكنيسة، وقيادة النفوس فتلك مهمّة جداً. فلا ينبغي أن يُرفَع إلى مقام الكهنوت إلاّ الذين يمتازون عن غيرهم بالفضائل. يجب أن يكون الفرق بين الراعي وقطيعه كالفرق بين البشر والمخلوقات غير العاقلة. وإذا شئت فقل أكثر من ذلك لأنّ مسؤوليّة الكاهن أعظم من مسؤوليّة الراعي (ويقصد هنا بالراعي ، هو راعي الأغنام) لذلك نجد في المعنى أوجه التشابه بين الراعي والكاهن.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (١٠)

تتمة من العدد السابق

زواج إسحق من رفقة:

من أغرب قصَص العهد القديم وأحلاها، قصّة هذا الزواج فهي صورة للزواج التقليدي ، فحينما بلغ إسحق ٤٠ سنة من عُمره وقد خشَى عليه إبراهيم أن يختلط بسكّان الأرض وهو ساكن في وسَطهم ، أرسَل عبده أليعازر الدمشقيّ إلى حاران ؛ ولا شكّ أنّها كانت رَحلة شاقّة إستغرقت عدّة أسابيع ، وفي حاران سَكَن بتوئيل ابن ناحور وأخي إبراهيم ، وبتوئيل هو أبو لابان ورفقة (تك٢٤:١٠) ، ومن هُناك أتى أليعازر برفقة زوجة لإسحق وهي من عشيرته ، وقد ألزم إبراهيم عبده بهذا القَسَم لنقاوة أُسرة اللّه ولينتقل ميراث البركة إلى جيل نقي ، فَتُدخُل رفقة خيمة إسحق كإختيار إلهي خالص كما حدث مع إبراهيم نفسه.

القصة بحوادثها تحمل رموزاً روحيّة غنيّة.

تتشابه رفقة بالكنيسة التي خُطِبَتْ لعريسها المسيح فدَخَلَت إلى خيمته وصارت منتسبة إليه ، ونالت منه مجداً وغنى وبرّاً.

وما أشبه ذلك العبد (أليعازر الدمشقي) بيوحنا المعمدان الذي أتى يُعدّ طريق الرب ويهيء العروس لعريسها ، فكانت خدمته جليلة ومُباركة (تك٢٤:٥٦) ، والقصة مليئة بالمعاني والرموز ففيها العهد والطّاعة والبركة والسجود وفي كمالها الزيجي الإتحاد والميراث.

إسحق يَسكن الخيام:

عاش إسحق كأبيه متبدّياً يسكن الخيام يرتحل في الصحراء عند بئر لحي رُئي (تك٢٥:١١) ، وقضَى سنيناً عديدة في حياته في مدينة أبيه حبرون ،وعاش مع رفقة مدّة عشرين سنة بدون نَسل ثم أعطاهم اللّه توأمين وكانا الإبنان مختلفين في المزاج والصفات وبارك إسحق ولدَيه (رو٩:١٠ ، عب١١:٢٠).

وانتقَل إسحق إلى جرار ، وفيها بعد قرن من الزمان مضى على قصة إبراهيم في جرار يذكر أبيمالك آخر وتتكرّر مع إسحق القصة التي حدثت مع إبراهيم في جرار حيثُ قطعا إسحق وملك جرار معاً عهداً ، وبسبب مجاعة حدثت في الأرض قامَ إسحق وهو يشدّ رحاله لينزل مصرَ ، لكن اللّه منعه في جرار ربما لأنّ الرجُل كان رَقيقاً لا يحتمل التجارب في مصر ، وفي جرار جدّد له العهد بالميراث وأن يكون أباً لجمهور عظيم (عب ١١:٩-١٢) ، وانتقل إسحق إلى وادي جرار وصارَ غَنيّاً وعظيماً (تك٢٦:١-١٧) ، وابتدأ ينبش الآبار التي حفرها إبراهيم أبوه بعد أن طَمَسَها الفلسطينيّون ودعاها بذات الأسماء التي أسماها بها أبوه.

وعاش إسحق إلى ١٨٠ سنة (تك٣٥:٢٨) ، وكانت حياته هادئة مُسالمة لم يَكُن له الرحلات الطويلة مثل أبيه إبراهيم أو الغربة والمغامرة مثل إبنه يعقوب ، فقضَى مُعظم حياته في رُكن من الصحراء شماليّ غرب النَقَب أو قرب حبرون مدينة أبيه ، وقد سارَ في إيمان أبيه ، فظَهَرَ له اللّه عدّة مرّات يجدّد معه العهد فقد كان أول النسل المُختار ووريث عهود اللّه (رو٩:٧ ، عب١١:١٧).

يعقوب إسرائيل (تك٢٥:١ - ٤٩:٣٣)

زواج إسحق من رفقة:

توأما إسحق ، يعقوب وعيسو ، أخوان مُختلفان في الميول والطباع، فعيسو إنسان البريّة صيّاد الصحراء له الطباع الخشنة والعَقليّة الدنياويّة ، أمّا يعقوب تميّز بقلب مرفوع إلى السماء فكان يسير في خطى أبيه إسحق وجدّة إبراهيم وإتسمت طباعه بالهدوء والتأمّل ، يزرع الأرض وفي إيمان يترجى المطَر من السماء ، ويرعى قطعانه في هدوء وسلام. عاشَ متبدياً في الأرض يسكن الخيام ، وشَهدَ له الكتاب أنّه كان إنساناً كاملاً ، وبالرغم أنّه كان الأصغر لكن من خلاله يتواصل النسل المختار ويتحقّق الوعد الإلهيّ ولذا تُنبيء عن مولده أن الأكبر يُستَعبد للأصغر (تك٢٥:٢٣) ، وكان عيسو هو البكر لكنّه لم يُقَدِّر حقّ البكوريّة ، ولم تكُن البكوريّة والبركة شيئاً زمنيّاً لكن كانتا وعداً روحيّاً وعهداً وطيداً مع اللّه ، فنُشاهد عيسو وإن كان قد تنازل عنها لكنّه نال نجاحاً عالميّاً من الثروة والأبناء الناجحين الأقوياء وله قائمته بأسماء سلالته ذات السلطان والسيادة في الأرض (تك٣٦) ، وعلى العكس كانت حياة يعقوب سلسلة من الأزمات عاش فيها الغربة وقاسى الآلام والصعاب ، ولكن ما أعظَمَ الفارق إذا كانت المقارنة بالمقاييس الروحيّة ، لأنّ يعقوب رجل اللّه كان وارثاً للبركة ، وفي مشهد فريد نرى فرعون العظيم ملك مصر ينحني ليعقوب في إجلال يلتمس منه البركة (تك٤٧:١٠) ، إذن لم تكن البكوريّة أو البركة شيئاً عالميّاً ماديّاً أو نجاحاً زمنيّاً ، لكنّها إمتداد ميراث الآباء ينال صاحبها إمتياز أن يصير كاهن الأسرة ومن نسله يأتي المسيح (مت١:١) ، ولأنّ عيسو كان مُستبيحاً إحتقَرَ هذا الإمتياز وباعَ بكوريته (عب١٢:١٦) ، ولا مانع عنده أن يتزوّج من الوثنيّات بنات الكنعانيين فصار سبب مرارة لأبويه (تك٣٦:٢) ، وهذا يوضح أن إحتقار عيسو للبكوريّة لم يكن وليد ساعة ، بل نتاج حياة شرّيرة عاشها وحالة قلب إزدحم بشهوات عالميّة ، فلا داع للبكوريّة ووعد غير منظور "فقال عيسو ها أنا ماض إلى الموت ، فلماذا لي البكوريّة" (تك٢٥:٣٢) ، وحينما فكّرَ في نفسه أنّه لا لزوم للبكوريّة أعلنت أفكاره التي كانت تختبيء في قلبه وساوَمَ أخاه للتنازل عنها ، وإذ رأى يعقوب في أخيه شخصاً مُتهاوناً سَعى أن يلتقط البكوريّة قبل أن تسقط من بين يدي أخيه وتُفقَد من الأسرة ، ولأنّ البركة تتبع دائماً البكوريّة فمن يفقد البكوريّة يفقد معها البركة ، لذلك بعد أن أخذ يعقوب البكوريّة إزدادت طموحاته في إغتصاب البركة أيضاً فأخذها بمكرٍ من أبيه.

يتبع في العد د القادم

كيف تجعل زواجك سعيداً؟ (٣)

الإتصال والتواصل

"لا أستطيع أن أتكلّم مع زوجتي": هذه هي صرخة رجل تواجهه المشكلة الرئيسية في الزواج. أحصى الاستشاريون أنّ ٨٥٪ من كل ١٠٠ حالة من الذين يبحثون عن استشارات زوجية لديهم هذه المشكلة، التي هي فقدان التواصل والاتصال بين الزوجين.

إنه من العجب العُجاب أننا نجد في هذه الحقبة من القرن الحادي والعشرين، والتي ازدادت فيها الاتصالات الحديثة والعجيبة ، أننا نجد مثل هذه المشكلة الزوجية: **عدم التواصل**.

حدث منذ فترة أن بنى السلاح البحري الأمريكي في مكان ما في الغرب أقوى جهاز إرسال في العالم، حيث يقال إنّ الأسطول البحري يمكنه أن يرسل رسالة وإشارات إلى أي مركب أو باخرة في كل العالم. إن كان الإنسان قد استطاع أن يُرسل رسالة إلى أي مكان في أقصى الأرض، بل وإلى القمر نفسه، فكيف لم نتعلّم بعد ونحن في علاقتنا الحميمة كأزواج أو نتّصل وأن نتواصل بعضنا مع بعض؟

الاتّصال الجيّد في الزواج يحتاج إلى العناصر التالية:

(١) حدِّدا وقتًا معينًا كل يوم، وليكن بعد العشاء، يتحدّث فيه الزوجان بغير كُلفَة وبهدوء بخصوص أحداث اليوم، وكل طرف يستمع ويصغي جيدًا إلى الطرف الآخر. وفي هذا الوقت جدّداً تعهدات حبكما، ثم أبدأا في أن تُخَطّطا لبرنامج اليوم التالي، عندما يكون الأولاد صغارًا، فمن الممكن أن يكون هذا الوقت "**الخاص بالوالدين**" بعد أن ينام الأولاد، ولكن عندما يكبرون في السن، فعليكما أن تفهما الأولاد أنّ هذا الوقت لا يصحّ فيه أن يُقاطعا الأب والأم في: "**وقتهما الخاص**". لا بدّ أنه سوف تطفو أمور كثيرة وتجارب عديدة لتعوق وجود هذا "**الوقت الخاص**" والتواصل فيه مثل: التلفاز والجرائد والزيارات... الخ، ولكن عليكما أن تتأكّدا وأن تتحققا من أنه إن لم توفرا وقتًا لهذا التواصل أثناء الزواج، فإنكما سوف تتواجهان بالضرورة مع عديد من المشاكل التي سوف تظلّ بلا حلّ.

كذلك بالإضافة إلى هذا الحديث اليومي، لا بدّ أيضًا أن تتوافر رحلة قصيرة كل أسبوع أو أن تتناولا عشاءً بسيطًا في مكان هادئ. هذه أوقات هامّة جدًا لتجديد الفكر والأعصاب والدم. إنّ في المتنزهات أو على شاطئ البحر جوًا منعشًا يجدّد العضلات والخلايا والقلب. كل هذه الأمور سوف تُسهّل جدًا التواصل في الزواج.

(٢) واحدة من الفوائد التابعة والتي يستفيد منها الزوجان في حديثهما معًا هي أنّ الشخص يكتسب بناءً جيدًا لنفسه. إنّ الطرف الجيّد من الزوجين هو الذي يهتم اهتمامًا كافيًا للإصغاء للآخر (دون أن يدفع له مُقابل، كما هو في العلاج

وضعتَ على رأسيهما إكليلاً من حجرٍ كريم حياة سألاك فأعطيتهم طول الأيام

النفسي!). أغلب الناس مرضى عاطفيًا بسبب وجود حمل داخلي ثقيل عليهم، لم يشاركوا أحدًا فيه. يُمكن في الزواج الجيّد أن يشارك الزواج في تخفيف كل واحد الحمل عن الآخر. يوجد مثل عربيٌ (وهو مناسبٌ جدًا للطرف الجيّد من الزوجين) يقول: "إنّ الصديق هو هذا الشخص الذي يُمكن للآخر أن يذهب إليه، وعنده يسكب كلّ محتويات قلبه؛ الحنطة مع التبن، وهو يعلم أنّ يدي صديقه الحانية والرقيقة سوف تحمل الاثنين معًا، ثم تغربلهما، لتُعيد له ما هو نافع؛ كما أيضًا بنفس المحبّة والشفقة والعطف، سوف تعصف بالقش بعيدًا".

من الأشياء الغنيّة جدًا في الزواج هي المشاركة المتبادلة. علينا أن نتعلّم جيدًا القيمة العظيمة للإصغاء: الواحد للآخر. قد تكون أحيانًا أعظم مجاملة يمكننا أن نقدّمها إلى شخص ما هي أن نُصغي اليه. أن تصغي لإنسان معناها أنك تكترث وأنك تهتم وأنك تعتني به. وبالإجمال معناها أنك تحبه.

(٣) يجب أن تكون لنا الإرادة والرغبة، لا لتوصيل الأخبار السارّة فقط، بل وأيضًا الأخبار غير السارة وكذلك مشاعر الغضب. يحدث غالبًا أنّنا نخجل من أن نعبّر عن مشاعر الغضب تجاه شخص آخر نشعر أنّه من الواجب علينا أن نحبّه. إنّنا بهذا نحاول ونجتهد لأن نخفي عداءنا نحوه، إلاّ أن هذا العداء يأخذ في التسلل بطرق مختلفة. وعلى سبيل المثال، إن كنّا نخبر شريك حياتنا بأنّنا مستاؤون بسبب شيء ما، ونوضّح الأسباب لذلك، فإنّ العداء سوف يُطرد ويتبدّد إلى التمام إنّه يُدَحرَج ولا يكون له وجود. ونتيجة لهذه المصارحة، فإنّ الشريك الآخر سوف يعرف أنّنا غاضبون، كما سوف يعرف أيضًا سبب الغضب، والنتيجة الحتميّة سوف تكون مزيدًا من التفهُّم كلّ واحد للآخر. الشيء المهم هنا هو أن نوصّل مشاعر الغضب وأسبابه للطرف الآخر **بمحبّة** ، يقول

القدّيس بولس بخصوص هذا: "صادقين في المحبّة (أي قُل الصدق في محبة)" (أف ٤: ١٥)، ولكن من الجهة الأخرى، إن كُنّا نشعر أنه من الخطأ أن نعبّر عن مشاعر المحبّة للطرف الآخر، فإنّنا سوف نكتشف أنّ هذه المشاعر لن تخمد ولن تهدأ، ولكنها ستجد لها مجالاً للتسلل إلى الخارج، وهذه أيضًا سوف يُعبّر عنها بالضرورة، وستكون النتيجة هي أننا سننتقد الشريك الآخر في كلّ شيء تافه أو صغير، أو حتى فيما ليست له قيمة أو أهمية؛ وليس لمرة واحدة بل إلى مرات، وإلى الدرجة التي قد تبلغ فيها نقطة من الصدع الحاد الذي يهدّد العلاقة الزوجية. هذا لن يحدث على الإطلاق إن كان الطرفان جادّين في أن يوصلا **بأمانة وبحب** كلّ أنواع المشاعر، بما في ذلك المشاعر الغاضبة.

سوف أغيّره!

يوجد في داخل الزواج ما يكفيه من المشاكل، يجب علينا ألا نجعل منه فكرة أو مشروع بعثة (تبشيريّة) لتحويل الآخر إلينا. من أخطر الأوهام في الزواج هو أن يتزوّج الإنسان وهو يأمل أن يتوقّع أن يغيّر الشخص الآخر. **بئس هذا الزواج** الذي يحاول فيه أحد من الزوجين باستمرار وربما إلى النهاية أن يدفع بالآخر ليطيع رغبته، وأن يقتنع بها عنوة وأن ينفذها. في مثل هذه الأحوال فإنّ الناس لا يتزوّجون شخصًا حقيقيًا، ولكنهم يتزوجون عرضًا أو مشروعًا أو شكلاً لما يريدون أن يكون الطرف الآخر عليه. الحب الناضج يبدأ عندما يحب اثنان بعضهما البعض لأجل ذاتهما، كما هُما، لشخصهما، وليس لأجل أوهام أو خيالات، يريد الواحد أن يفرضها على الآخر.

إنّ سر الزواج لن يصنع معجزة بخصوص هذه الأمور. قد يُعطي الزواج اسمًا جديدًا ، أو عنوانًا جديدًا، وقد يوصلنا إلى علاقة جديدة ومسؤوليات جديدة، ولكنه لن يجعلنا شخصًا جديدًا بصفات جديدة. إنّ نعمة اللّه فقط من خلال يسوع هي التي يمكنها أن تعيد فينا خلقة إنسان جديد وليس الزواج. إنّنا عندما نُقْدِم على الزواج، فنحن نتقدّم بشخصيتنا كما نحن، ليس أكثر ولا أقل.

الحُب الحقيقي لا يدفع بالتغيير لأن يحدث عَنْوَةً، ولكن يثير ويحفز على النمو، كيف؟ بأن يقبل الزوجان كلّ طرف كما هو، على ما هو عليه، عندما ندخل في زيجة، فنحن لا نوقّع على استمارة تغيير الطرف الآخر، ولكن فقط على أن يحب الواحد الآخر على ما هو عليه. لا توجد مهمة ولا واجب على الزوجين أرق من أن يجتهد الواحد في أن يعين الآخر على أن يتخطى وأن يغلب أخطاءه. لا يمكن لأحد أن يقوم بهذه المهمة بنجاح إن لم يتقبل كل طرف الطرف الآخر على ما هو عليه، كما هو، بأخطائه وعيوبه. عندما أعرفُ جيدًا أنّني مقبولٌ على حالي، كما أنا، فهذا هو أكبر دافع يستحثني على أن أكون شخصًا أفضل.

أفضل ما يمكن للزوج أن يقدّمه لتغيير زوجته هو أن يغيّر نفسه وأن يصحّح أخطاءه. إن الشيء الوحيد في العالم الذي يمكنني تغييره هو نفسي، وحتى هذا فإنّما عن طريق نعمة اللّه المخلّصة المغيّرة.

إن كنتُ جادًا في رغبتي بأن أبدأ بنفسي، فإنني سوف أساعد في تغيير عالمي، وإن كان هذا يتم ببطء. وعلى سبيل المثال ، فإنّ المرأة التي تشتكي من زوجها وتقول: "آه لو أقلع زوجي عن شرب الخمر، وإن كان لا يهيج ويفقد مزاجه، وإن كان أكثر صبرًا، وإن كان يقضي في البيت وقتًا أطول، لو اجتمعت هذه الأشياء كلها حولنا، لأصبح زواجنا سعيدًا!".

ممكن لاستشاري في أمور الزواج وهو محنّك في خبراته أن يسأل هذه المرأة: "ماذا تظنين في أن يكون السبب في أنّ زوجك يعاقر الخمر؟ أو ماذا يكون السبب الذي لا يجعله يقضي وقتًا أطول في المنزل؟.. الخ". وبكلمات أخرى، فإنّ هذا الاستشاري يُحاول أن يجعل هذه المرأة تركّز وتسلّط الضوء على نفسها، وأن تُسائل نفسها: "أما يمكن أن يكون زوجي سكيرًا بسببي؟ أو ربما يكون كل ما يعمله زوجي في حياته إنما هو انعكاسٌ لتصرفاتي أنا؟ فعليّ بدلاً من أن أركّز الكلام عليه وأحاول أن أغيّره، فليتني أركّز أنا على نفسي، وأن أبحث جادّة في أخطائي التي يمكنها أن تُساهم وأن تُشارك في تصرفات زوجي غير المقبولة".

التغيير الحقيقي في الزواج يبدأ حين يبدأ الإنسان بنفسه، لأنّنا في الزواج نكون مسؤولين كل واحد عن تصرف الآخر، فقد تكون تصرفاته هي انعكاسًا لتصرفاتي.

يوجد في الزواج الناجح الجيّد. شخصان يجتهدان في أن يكتشفا كل واحد، ليس كثيرًا في أن يكتشف الواحد أخطاء الآخر، ولكن في أن يكتشف أخطاءه الشخصيّة.

الحاجة أن يفهم كل واحد الطرف الآخر

يوجد احتياج شديد للفهم والتفاهم في الزواج. قال سبينوزا Spinoza ذات مرّة: "لا تجعل السخط والنقمة يزدادان، لا تَزعَل، افهم وتفاهم! بدلاً من أن تتفاعل بعداوة عندما ترى أنّ الأمور تجري في طريق خطأ وليس على ما يرام، اسأل نفسك أولاً **لماذا؟** وعندئذ سوف تجد فرصة أفضل جدًا في أن تكتشفَ المشكلة الأساسيّة، وأن تضع الحل في المكان الصحيح". يوجد صدقٌ كبيرٌ في المقولة: "أن تفهم كل شيء فهذا معناه أن تغفر." لا بد أنه يوجد سببٌ لكل ما يعمله الناس. اجتهد أن تكتشف هذا السبب، وأفضل طريقة لتكتشفه ينبغي أن تكون من خلال التعاطف، بأن تضع نفسك مكان الآخر، وأن تحاول أن تعرف السبب الذي بسببه تصرّف بهذه الطريقة. يوجد تطبيقٌ جيد على هذه النقطة ألا وهو السيد المسيح على الصليب. استطاع المسيح أن يغفر لصالبيه. لقد فهم. إنّه وضع نفسه مكانهم وتحقق أنهم لا يعرفون ماذا يعملون، ولأنه فهم، فإنه استطاع أن يغفر وقال: "يا أبتاه اغفر لهم لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (مت ٢٣: ٣٤).

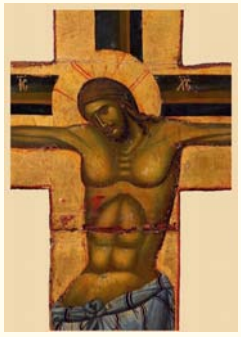

دعنا نرى كيف يُساعد الفهم على الغفران: قد يأتي الزوج من عمله غاضبًا، ويدفع الباب في وجه زوجته بعد أن يدخُل. يمكن هنا أن تتفاعل الزوجة بالمثل، وهنا سوف تبدأ طبعًا معركة حامية. يمكن

للزوجة الحكيمة أن تتخذ منحى آخر، وذلك بأن تفهم زوجها، ويمكنها أن تقول لنفسها: "إنّني مندهشة ومتعجبة من السبب الذي جعل زوجي اليوم غاضبًا بهذا الشكل؟ إنه على غير عادته، فربما يكون قد حدث شيء في العمل، بعض العملاء أغضبوه مثلاً، ولذلك فقد عاد إلى المنزل وهو في هذه الدرجة من العداء. إنّني أعرف جيدًا أنه يحبني، وأنا متأكدة أن عمله العدائي هذا ليس حقيقة نحوي أنا ولكنه تجاه الزبون الذي أظن أنه هو الذي أوصله الى هذه الحالة السيّئة". ولأنها قد فهمت الموضوع وأدركته، فلذلك فإنها تقدر أن تتفاعل وأن تتعامل معه برقّة وبكياسة وبلطف، ومن ثم فإنها تستطيع أن تُقدّم لزوجها كوبًا مثلجًا من الشراب الذي يحبّه. وما إن يمضي وقتٌ قصير إلا ويعود الزوج إلى حالته الأولى من السعادة والهدوء. إنّ ما حدث كان يحتاج إلى كثير من الفهم والوعي والإدراك والتعاطف. فالزوجة وضعت نفسها مكان زوجها، ومن ثم فقد استطاعت أن تحتوي الموقف وأن تتعامل معه بحكمة.

كان لرجل الدولة الإنجليزي العظيم سير ديزرائيلي sir disraeli زوجة حكيمة وفهيمة جدًا، نسّقت هذه المرأة مع واحد من زملاء زوجها في الحكومة أن يبلغها في آخر كل يوم ما إذا كان زوجها قد قابلته مواقف صعبة وحاسمة في اجتماع مجلس الوزراء، الأمور التي تسبب لزوجها في المعتاد قلقًا واكتئابًا.

كانت الزوجة في حال اتصال زميل زوجها بها ليبلغها بأن جلسة صاخبة قد حدثت في هذا اليوم، إلاّ وكانت تستقبل زوجها في المنزل بكل حُب ومرح وبشاشة، بعد أن تضيء جميع الأنوار التي في المنزل، لأنها كانت تعرف أنه من طبع زوجها أن نفسه المكتئبة تنتعش من الأنوار الوضّاءة، كما أنها تُبدّد أحزانه وتزيح عنه الأتعاب. المعرفة والفهم هما ثمرتان من ثمار المحبّة الحقيقية.

إنه يستغرق وقتًا

الزواج الناجح يحتاج إلى وقت. إنه لا يحدث في يوم وليلة، كما أنه يجب أيضًا أن ينمو، وهذه عملية طويلة وصعبة، وذلك بسبب أنه لا يوجد في كل العالم شخصان متشابهان تمامًا مثلما أنه لا يوجد شخصان لهما نفس بصمات الأصابع أو نفس نغمة ونبرة الصوت. هكذا بالمثل تمامًا لا يوجد شخصان متلائمان تمامًا بعضهما مع بعض. اللّه خلقنا ذوي صفات شخصية فريدة غير متكررة، ولذلك فإنّ التكيف بين شخصين يستغرق وقتًا طويلاً. مهما كان الوضع في الزواج، فإنّ هذا التكيّف يحتاج إلى فترة لا تقل عن ٥–٧ سنوات، وهذا يفسّر السبب في أن السنوات الأولى للزواج تكون عصيبة جدًا. إنها سنوّ التكيّف والتواؤم، ولذلك فإنّ أغلب حالات الطلاق تحدث في هذه السنين الأولى للزواج. نحن نسمع عن وجبات سريعة، ونسمع عن قهوة سريعة، ولكننا لا نسمع عن زواج سريع. إنّ انجاز واحراز زواج ناجح أمرٌ صعب ويستغرق وقتًا طويلاً، إلا أنه في نفس الوقت أمرٌ يستحق بذل كل جهد من أجله.

نحن

يخبرنا سيّدنا يسوع المسيح أنّ علاقة الزواج هي حميمة جدًا للدرجة التي تُصيّر الزوج والزوجة **واحدًا**. إنهما صارا واحدًا إلى هذه الدرجة التي تجعل أن يصير لهما اسمٌ واحد. كان اسمه مثلاً جريس حنا، وكان اسمها كاترين أنطون، ولكن بعد الزواج يصير لهما رسميًا اسمٌ واحدٌ وهو: جريس وكاترين حنا . إنهما يصيران واحدًا في نظر القضاء، ويصيران واحدًا في نظر المجتمع، كما يصيران واحدًا في نظر اللّه. هذه الوحدة يلزم أن تعكس نفسها في كل نواحي الزواج، كما انه يجب أن كلّ قرار يصير قرارًا مشتركًا. لا يجب على الزوج أن يقرّر شيئًا بدون استشارة الزوجة، والزوجة أيضًا لا يجب أن تقرر شيئًا بدون استشارة الزوج.

يجب أن توجد **وحدة** في قراراتهما، وعلى سبيل المثال، فإنه ينبغي على الزوجين عندما يجلسان معًا ويتكلمان في الاحتياجات المالية وكيفيّة صرف المال، أن يتفاهم الاثنان وأن يتدبّرا في مقدار ما يتحصّلا عليه وكيف ينصرف، كما يجب ألا يصرف أي مال إلاّ بعد أن يتفقا معًا على ذلك.

يقول يسوع: "**يصيران واحدًا**" **واحدًا** في الممتلكات المادية، واحدًا في الاهتمامات الروحية، **واحدًا** في كل العلاقات فيما يخص أي مستجدات في مطالب الحياة، يجب على الزوجين بعد زواجهما ألا يقولا: "يوجد فيما بعد ما هو لي وما هو لك"، ولكن: "من الآن هو لنا". كتب هومر Homer في الأوديسا Odyssey: "لا يوجد في الحياة ما هو أنبل من أن يكون الرجل وزوجته في المنزل لهما قلب واحد وفكر واحد".

كتمان السر

إذا المرءُ أفشَى سِرَّهُ بلسانه ... ولامَ عليه غيرَهُ فهو أحمقُ

إذا ضاقَ صدرُ المرء عن سرِّ نفسه ... فصَدْرُ الذي يُستودَعُ السرَّ أضيقُ

عن سيرة القديس
ثيودوسيوس رئيس الأديار

١ – كان يسدّ ثيودوسيوس الكبير حاجة الفقراء بجوده عليهم. فقد أخضَعَ الجود لحكم الإرادة كما أخضع الأخيرة لكرم الروح ، هذا ما سنتبيّنه من التالي:

٢ – كانت شفقته تزداد على النّاس بمقدار ما كان يرى الفقر متملّكاً عليهم خاصّة إذا رافقَ الفقر مرض أو عاهة من العاهات ، أو على الأخصّ إذ حلّ بهم الوباء.

٣ – فكان في مثل هذه الظروف بمثابة البَصَر للعميان والعُكّاز (الرجْل) للعرج والوشاح للعراة والسقف لمن لا سقف لهم والطبيب للمرضى ، والمُعطي والخادم والعبد. وإنّه لفرط غنى محبّته للبشر غذا الكلّ للكل: فكان يمسح الدم عن الجراح ويُطهّرها ويُقبّل شفاه البُرص تعزية لقلوبهم لكي يحملهم على تحمّل المصيبة بفرح. هذا كلّه جعل النّاس يدعونه الميناء والمستوصف والملجأ والكنز للجميع ، لأن عنايته كانت تشمل جميع الذين كانوا بحاجة دون استثناء.

٤ – فإن فتّشت في دير القدّيس لن تجد أحداً من الضيوف مهملاً أو محتقراً لبؤسه. على العكس فمهما كان الضيف فقيراً وعديم العبرة كان يَلقَى من القدّيس حظّاً كبيراً من الإهتمام به ، كما كان يُعامل المسيح بالضبط الصغار ويقدّم لهم كل ما يحتاجون إليه كأخصاء له.

٥ – لم يُقذَف بأحد هؤلاء الفقراء خارج الدير ولا أُفسح له بالرجوع إلى بيته كما جاء إلى الدير حزيناً. وقد ذكر الأخوة المسؤولون عن الضيوف أنّهم أَعدّوا في أحد الأيام ما يزيد على المئة طاولة. فإذا كان ينبوع الرأفة الإنسانيّة يتدفّق بغزارة بهذا المقدار ، فما حال الينبوع الإلهي ، الذي يفوق الأوّل بما لا يُقَدّر. وهذا ما يبرهنه الحدث التالي:

٦ – عاقَبَ اللّه يوماً سكّان الأرض بالمجاعة ولم يستثن أحداً منهم. وبينما كان النّاس يُكابدون ألم المجاعة عقاباً على أفعالهم الشرّيرة ، كما قال النبي ميخا (١٣:٧) ، حان يوم الشعانين وقد اعتاد القرويون والفقراء أن يأتوا إلى الدير للإشتراك بالإحتفال ، لكنّهم في تلك الفترة كانوا يترقبونه بشكل خاص ليأكلوا شيئاً فيسدّوا جوعهم.

٧ – أما الأخوة المسؤولون عن توزيع الأكل فلما شاهدوا جماهير النّاس اندهشوا وفكّروا في كيفيّة توزيع الأكل ، فوجدوا أن استعمال الموازين في توزيع الحصَص هو أضمن حلّ لهم. فحدّدوا لكل فرد ليتراً على وجه التقريب لكي يكفي الأكل للجميع.

٨ – وفيما كان القدّيس ثيودوسيوس ماراً بجانب الدير رأى الجماهير مزدحمة عند الأبواب محاولة الدخول ، فتذكّر حالاً كلام أيّوب: «خارج الدّار لم يَبِت غريب ، وبابي ما زال مفتوحاً لإبن السبيل» (أيوب ٣٢:٣١) ، وأَمَرَ بفتح الأبواب وإعطاء كلٍّ منهم بحسب حاجته وبتهيئة مائدة كالمعتاد لعدد من النّاس يستحيل إحصاؤهم ليأكلوا ويشبعوا.

٩ – أما الرهبان المستعدّون للخدمة فبمجرّد تطلّعهم إلى الجماهير ، بُهتوا ولم يعرفوا كيف ينفذّون الأمر المُولى بهم. ولما فطنوا لفضيلة ونعمة مَنْ أَمَرَ وأقصوا عن أذهانهم التفكير البشيري ورأوا ما يتجاوز تفكيرهم ، سارعوا إلى فتح الأبواب واستقبلوا

الداخلين بصدر واسع ، مُبادرين إلى تحضير الموائد ووضعِ كلّ ما عندهم من المأكول ببشاشة وسرور.

١٠ – وماذا صَنَعَ اللّه إله المعجزات؟ لقد أشبع من القليل جماهير غفيرة ، كما أشبع قبلاً من الخمسة أرغفة خمسة آلاف نسمة. ولكن المعجزة هنا لم تتوقّف على إشباع الجماهير بل ملأت المخازن خبزاً أكثر مما كان فيها بكثير ، فيما كان الخَدم يظنّون بأنّها فارغة وذلك بصلوات القدّيس كي يشبع النّاس ويمجّدوا مَن قد مجّده اللّه **ويتوبوا عن خطاياهم فيخلصوا**.

١١ – ومرّة أخرى كان عيد العذراء مريم والدة الإله. ولعظَم أهميّته أقبَلَ إلى الدير جمهورٌ غفير ، مما جعل الأخوة غير كافين للقيام بواجب الإستضافة لهم. وإذ لم يكن لديهم الخبز الكافي كان عليهم أن يضعوا على كل طاولة رغيفاً واحداً.

١٢ – لكن الربّ أدرَكَ الأمر وملأ المخازن خبزاً. إن يمين العليّ التي تفتح وتملأ مخلوقاتها (مز ١٠٣) ، هي نفسها التي ملأت المائدة ، لا بل بطون مخلوقاتها التي لا تُعَد ومن فضلات عطاياها امتلأت قفف كثيرة أخذ منها الزائرون إلى بيوتهم، وقدّم منها الإخوة مراراً على مائدة الضيافة.

١٣ – ومَن من النّاس لا يندهش إذا رأى جماهير المصريين مُقبلين إلى عيد تدشين الدير ولا يتسائل: تُرَى هل ستكفي مياه الآبار ليشرب هؤلاء الناس !؟ ومع ذلك فقد أكلوا وشبعوا وتركوا فضلات لِمَن سيأتي بعدهم.

١٤ – ومَن منَ البَشَر أيضاً إذا شاهَدَ هذه المعجزات تُقام في البريّة ، لا يتأثّر مَن أنّ الذي أنزل الطعام من السماء للعبرانيين في البريّة بصلاة موسى ، هو نفسه الآنَ يُشبع جماهير الناس بصلوات **ثيودوسيوس**؟ بالحقيقة مَن يضع اتّكاله على المسيح بإمكانه أن يصنع أعمالاً كبيرة ويؤمّن القوت لأناس كثيرين. ولهذا سترى كثيرين يذهبون إلى البريّة مُفكّرين بكل بساطة أن **ثيودوسيوس الكبير** إنما هو موسى أو المُخَلّص نفسه الذي بارَكَ الخمس خبزات ومنها شَبِعَ أُناسٌ كثيرون.

كتب أحد القدّيسن:

« كل من لا يعتبر نفسه خاطئاً فصلاته لا يقبلها اللّه »

كأس الموت

ذَهَبَ إثنان ليشتري أحدهما منزلاً من الآخر إلى رجُل قدّيس يكتب لهما عقد البيع ، فأمسك القدّيس ورقة وقلم وكتب:

(إشترى ميتٌ من ميّت منزلاً
في دنيا اللاهين وفي سكّة الغافلين
يحدّ البيت من اليمين شارع الموت
ومن الشمال شارع القبر
ومن الشرق شارع الدينونة
ومن الغرب شارع الأبديّة
فإمّا سعادة أبديّة أو شقاء أبدي.)

وذيّل العَقد بقوله:

النفس تبكي على الدنيا وقد علَمَت
أنّ السلاَمة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلاّ التي كان قبل الموت بانيها
فإن بناها بخير طالَ مسكنه
وإن بناها بشرٍ خاب بانيها
أين الملوك التي كانت مُسيّطرة
حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
كم من حدائق في الآفاق قد بُنيَت
وأمسَت خَراباً وأفنى الموت أهليها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها
وبيوتنا لخراب الدهر نبنيها

نعم .. إنّ كأس الموت يشربها كل كائن فوق هذه اليابسة أعداداً لا تُحصَى من البَشَر ذهَبَ بأسمائهم الزمان ، وعفا عن ذكراهم النسيّان ، بعد أن ذابت أجسادهم في بطون الثرى. إنّنا من حين لآخر نودع فيه لآخر مرّة وجه حبيب انتقل إلى العبر الآخر مِن الحياة. فهل نستعد لذلك اليوم ؟

مشهد متكرّر نراه كل يوم. إنساناً يرقد أمامنا وقد تجرّد من الحياة. وكَفَناً قد أُسدِل على جثّة هامدة فارقتها نبضات القوّة.

عزيزي

لقد شَرِبَ مليارات من البَشر من كأس الموت من قَبلنا وأصبَحَ الدوَر علينا لكي نشرب منه نحنُ أيضاً ..

يقول الشاعر:

الموت كأس وكل الناس تشربه
وللقبر بابٌ وكل الناس تدخله

الموت هو الجسر الذهبي الذي ينقلنا إلى الحياة البديّة

ما هي حياتك

سقطت حفنة من الماء من السماء على الأرض فاختلطت بترابها ، فلم تَعُد حفلة **الماء** ماء ، ولم يظلّ **التراب** تراباً، بل أضحى كلاهما طيناً.

إشتاقت حفنة الماء أن تعود كما كانت وحيثما كانت فصرخت: من **ينقذني؟**

ضَرَبت الشمس بأشعتها وحرارتها في كتلة الطين فتبخّرت ورجعت إلى حيثُ كانت وإلى حيثُ جاءت ولكون بصورة **أجمل وأنقى** فلم تعد طيناً ، ولم تضحى ماءً . إنّه **البخار** الأنقى من الماء والأصفى من الطين.

هذا هو الإنسان بطبيعته ..
روحٌ سكنت في جسد ..
(روح) أعطاها اللّه من **السماء** ..
و**(جسد)** من تراب الأرض ..

والروح تصرخ في الجسد:
"من ينقذني من جسد هذا الموت» (رو٧: ٢٤).

مَن يفصل بين هذا وتلك؟
إنّه **الموت** الذي يضرب بشعاعه فيفصل بينهما . وتعود الروح إلى اللّه الذي أعطاها ويعود التراب إلى حيثُ كان وتتغيّر حياة الإنسان إلى ما هو **أفضل**.

وأخيراً ما هي حياتك؟
"إنّها **بخار** يظهر قليلاً ثم يضمحل» (يع ٤: ١٤).
ما هي حياتك .. أيها الحبيب ؟

دخل شاب مستهتر على أحد الكهنة الأُمناء ، فوجده موحلاً وكلّ ملابسه مبتلّة ماء.

فسأله الشاب : أين كنت ؟

أجابه الكاهن : يا ابني كنت في خدمة وعظ ، وأنا جالس الآن أعد عظة أخرى لألقيها في الصباح.

إستهزأ به الشاب الخليع وقال للأب.

(أنظر أنتَ حياتي .. أنا في الصباح أذهب إلى الوظيفة ولا أعمل شيئاً فيها ، وبعد العمل أذهب أنام وبعد النوم ألبس أحسن ملابس وأذهب إلى السينما. ومنها إلى حفلة رقص .. أنظر هذه الحياة السعيدة التي أحياها).

لكن اللّه الذي لا يترك نفسه بلا شاهد نطقَ على لسان الطفلة إبنة الكاهن فقالت: (بابا هذا الشاب يُسَمِّن نفسه مثل خروفنا الذي سنذبحه في العيد).

نعم .. إنّ كلّ الذين يعيشون لشهواتهم ، للأكل ، وزينة الجسد ، هم يعلفون أجسادهم ليوم الذبح للدود الذي لا يموت والنّار التي لا تطفأ.

إنّنا هنا أمام مشهد عجيب ، فما أبعد الفارق بين كاهن يعيش حياته لمجد اسم اللّه وبناء ملكوته على الأرض. وبين شاب مستهتر يعيش حياته لإشباع رغباته.

إنّ ساعة الموت ستدقّ دون أدنى شكّ لكل إنسان .. أما ساعة الحياة فستدقّ فقط للأبرار.

صديقي

ما هي حياتك؟

إنّه سؤال يطرحه علينا الوحي الإلهي نحنُ الذين إنتهت إلينا أواخر الدهور:

"ما هي حياتكم. إنّها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل" (يع ٤: ١٤)

ما هي الحياة لي؟ وما هي لك؟

إنّ الحياة لا تزيد أو تنقص عن أنّها فرصة في مملكة الإنسان ، والفرصة إذا ضاعت فلن تعود .

وواجبك الوحيد أن تسير في طريق السماء دون تراجع. ونحنُ نسير في موكب لا يرجع فيه التاريخ إطلاقاً.

وسعيدٌ هو ذلك الإنسان الذي يمسك بالفرصة.

لقد تساءل القدّيس يعقوب الرسول قائلاً:

"ما هي حياتكم؟" ثمّ أجاب "إنّها بخار يظهر قليلاً ثمّ يضمحل" .

وهكذا أوضح يعقوب الرسول أنّ الحياة من جهة حقيقتها **(بخّار)** ومن جهة مدتها **(تظهر قليلاً)** ومن جهة نهايتها **(تضمحل)**.

ما هي حياتك؟

إنّها مجرد أشبار ..
إنّها بخار يظهر قليلاً ثمّ يضمحل ..
إنّها خيال عابر .. لذلك يقول الوحي الإلهيّ:

"إلاّ أنّه بالشبه يسلك الإنسان" (مز ٣٨: ٦). "هوذا جعلت أيامي بالأشبار وقوامي كلا شيء قدّامك. (مز ٣٨: ٥).

فالحياة إذاً قصيرة ، حتى وإن طالت فلابد وأن تنتهي يوماً ما.

عزيزي

ما هي حياتك التي تحياها الآن؟ هل هي تُمَجّد اللّه ؟

"ذكر الصديق للبركة" (أم ١٠: ٧).

إنّ الموت لا يُنهي صلاحنا في هذه الدنيا ، ولا يمكنه أن يُبطل شرّنا الذي عملناه في هذه الحياة. إنّ المرأة الخاطئة التي دهنت المسيح بالطيب قال عنها الرب يسوع المسيح:

"حيثما يُكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يُخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها" (مت٢٦: ١٣). وما زال ذكرها حيّاً للآن ، تحقيقاً لهذا القول وكأنّ طيبها تفوح رائحته الزكيّة حتى الآن منذ أكثر من عشرين قرناً من الزمان.

وكذلك الأمر مع يهوذا ، فإنّ خبر شرّه وخيانته ما زال ذائعاً حتى الآن ، ولا نزال نلقّبه **(بيهوذا الخائن)** ، وإن كان يظن أن خطيئته تنتهي بانتحاره ، إلا أنّها بقيت حيّة وإن مات صانعها.

ما هي حياتك أيّها الحبيب؟ هل علمت ما هي؟

إنّها كأيام الأجير (أيوب٧: ١) ـ أسرع من الوشيعة (أيوب ٧: ٦) ـ نفخة (مز٣٨: ٥) ـ ظلّ (أيوب ٨: ٩) ـ أسرع من العداء (أيوب ٩: ٣٥)

أيّام زائلة (مز٣٨:٤) ـ أشبار (مز ٣٨:٦) ـ قصة (مز٨٩:٩) ـ كزهر العشب (يع ١:١٠) ـ بخار (يع٤:١٤) ـ ريح (أي ١٠:٢٠) ـ قليلة (أي١٠:٢٠) ـ شبعانة تعب (أي١٤:١).

إنّ سلطان الموت مستمر بلا توقّف ونفوذه سائد بلا حساب ولقد شبّه الوحي الإلهيّ زوال الحياة بعبارات مؤثرة:

فالقديس يوحنا المعمدان شبّه الموت **(بالفأس)** والناس **(بالزرع)** فقال: "والآن قد وُضعَت الفأس على أصل الشجرة. فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيّداً تُقطَع وتُلقَى في النّار" (لوقا٣:٩).

أما داود النبي فقد شبَّهَهُ **(بالطريق)** فقال:
"أنا ذاهب في طريق الأرض كلّها" (١مل٢:٢).

وبالمثل قال يشوع بن نون (يش٢٣:١٤)

والرسول بولس شبّه الجسد "**بالخيمة**" (٢كو٥:١).

وبطرس الرسول شبّه الجسد "**بالمسكن**" (٢بط١:١٣-١٤).

يقول داود النبي:
"فإنّ أبي وأُمّي قد تركاني وأمّا الرب فقبلني" (مز٢٦:١٠).
إنّها عبارة ربما يقولها البعض الآن .. إلاّ أن الجميع سوف يقولونها يوماً ما.

أمام الموت يستد كلّ فم ، أمام الموت تفشل كل المُحاولات وتتبخّر كُل الحيَل.

أمام الموت تَعجز كل القوى ، **فالموت ملك الأهوال**.

ما أكثر التساؤلات المستحيلة التي نوجّهها إلى الموت وستبقى هذه التساؤلات هكذا بلا إجابات:

ما هو الموت؟ ما هي طبيعته؟ لماذا الموت؟ ما هو موعده؟ أين مكانه؟ من يقدر أن يمنعه؟

إنّه يتربّص بنا منذ لحظة وجودنا إلى أن ينقَضّ علينا فجأة.
الموت هو الحقيقة الوحيدة في هذا العالم ..
لكنّ الموت غير طبيعي ، وغير أصيل لأنّ اللّه لم يخلقنا لنموت الموت الأبدي.

من أنت يا موت؟

إن تّوالي الأجيال البشريّة عبر الدهور تشرح الموت لنا (الأشجار الخريفيّة) من خلال عمليتين متتابعتين:

الأولى: أوراق تذبل ثم تسقط. الثانية: براعم تظهر ثمّ تترعرع.
وسيبقى الأمر هكذا دائماً وأبداً إلى أن تقتلع شجرة البشريّة هذه من جذورها وذلك بالنهاية الحتميّة نهاية العالم. إنّ كل حياة يكمن الموت في جوفها .. بدون نشيد الموت يصير نشيد الحياة بلا هدف.

لهذا قال السيّد المسيح:

وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل (يو١٠:١٠).

أبلغ واعظ

ذَهَبَ خادم إلى بلد لا تعرف لغته ليُبَشّر فيها بإسم المسيح ، فلم يعرف أن يبشّرها ووجد صعوبة في ذلك ، فَرَجعَ إلى وطَنه ليتعلّم اللغة . وبعد عودته إلى وطنه ذهبَ خادم آخر غيره إلى هَذا البلد ليُبَشّر بدلاً منه.

فأخذ يُطَبّق الإنجيل عملياً **في حياته** وبعدما ذَهَبَ وجاء الخادم الآخر بعد أن تعلّم اللغة فَجَمَعَ النّاس وأخذ يحكي لهم عن المسيح.

فقالوا له أهل البلد:

" لو كنتَ جئتَ قبل ذلك بقليل لكنتَ رأيت المسيح هنا معنا"

لقد رأوا المسيح في شخص هذا الخادم الذي عاش بينهم **كإنجيل حيّ مقروء** ولسان حاله يقول:

"لي الحياة هي المسيح" (في١:٢١).
"لكي أحيا لا أنا بل المسيح الذي يحيا فيّ" (غل٢:٢٠).

عزيزي

إنّ الخادم الحقيقي أيقونة جميلة وصورة اللّه أمام النّاس يقدّم لهم الحياة الروحيّة مُطبّقة عملياً فيتعلّمون من حياته أكثر مما يتعلمون من كلامه.

ويجب على كلّ خادم أن ينصت جيّداً لنصيحة الوحي الإلهيّ:

"لاحظ نفسك والتعليم **وداوم** على ذلك لأنّك إن فعلت هذا تخلّص **نفسك** والذين **يسمعونك** أيضاً" (١تي٤:١٦).

إنّ نجاح الخدمة في الكنيسة لا يُقاس بفصاحة وُعّاظها الذين يهزّون المنابر ويرفعون أصواتهم بالبلاغة ، بل تُقاس بقدوتهم الصالحة. فالقدوة **معلّم صامت** وفي صمته **أبلغ واعظ** ومُرشد.

إنّ الذي يعمل ويُعَلّم يُدعى عظيماً في ملكوت السموات والعكس بالعكس فالويل لمن تأتي بواسطته العثرات .

لقد علّم الرسول بولس بالقدوة قبل الكلام وهذا واضح من قوله:
"لكي نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثّلوا بنا" (٢ تس٣:٩).

أيها الوعاظ وفروا أصواتكم
أيها الكتاب وفروا أقلامكم
أيها المبشرون وفروا صيحاتكم

وما عليكم لتنجحوا في ربح النفوس وتؤدّوا رسالتكم كما ينبغي إلاّ أن تكونوا قدوة صالحة للجميع. والكرازة ليست مجرّد عظات تُقال أو تُعَدّ من الكُتب إنما الكرازة هي خدّام يحملون اللّه فيَ كلماتهم وحياتهم ويحرّكهم الروح القدس بقوّة إينما يشاء وكيفما يشاء.

قال أحد الشيوخ الرهبان:
ما لا تنفّذه بنفسك لا تستطيع أن تعلّمه لغيرك.

إن كان المسيح هو الكوكب المنير فعملك هو إظهاره عن طريق أعمالك الحسنة وتعاليمك الصحيحة.

للأولاد الأذكياء فقط

إجابات أسئلة العدد السابق

إستخرج أختين من بين هؤلاء ؟

١ - المجدليّة - ليئة - السامريّة - راحيل . راحيل وليئة.

٢ - حواء - دليلة - العذراء - المرأة الشونميّة. لا يوجد.

٣ - مريم - سارة - مرثا - حنة. مريم ومرثا.

أسئلة هذا العدد :

على أي مكان

١ – على أي جبل إستقرّ فلك نوح ؟

٢ – على أي جزيرة رأى يوحنا الحبيب رؤياه ؟

٣ – على أي جبل تمّ خلاص البشريّة ؟

٤ – عند أي بحيرة ظهَرَ السيّد المسيح بعد قيامته ؟

٥ – عند أي بئر تقابل الرب يسوع مع المرأة السامريّة ؟

٦ – أي نهر تحوّل إلى نهر دم بضربة من عصا أحد الأنبياء ؟

٧ – على أي جبل أخذ السيد المسيح التلاميذ حيثُ كان يُصلي؟

٨ – في أي بحيرة عمل السيد المسيح معجزة صيد السمك الكثير ؟

٩ – على أي نهر أسّس يسوع المسيح سرّ المعموديّة المقدّس ؟

١٠ – أي بركة ذهب المولود أعمى ليغتسل فمضى واغتسل وأتى بصيراً ؟

١١ – على أي جبل قال بطرس الرسول للسيّد المسيح يا ربّ جيد أن نكون ههنا ؟

١٢ – على أي جبل تسلّم موسى النبي لوحي الوصايا العشر المكتوبين بإصبع اللّه ؟

١٣ – عند أي بركة إنتظر المفلوج الشفاء ٣٨ سنة وقام الربّ بشفائه ؟

١٤ – إلى أي نهر أمر اللّه إيليا النبي أن يعتزل وقت الجفاف وكان الغربان تعوله ؟

١٥ – في أي بلدة حوّل السيّد المسيح الماء إلى خمر ؟

القديسان بطرس وبولس

الإجابات في النشرة القادمة

الإصغاء كموهبة

يُذَكّرنا يعقوب الرسول في الكتاب المقدّس أنّه « كل عطيّة صالحة وكلّ موهبة تامّة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار - "اللّه" - (يعقوب١:١٧). بعد ذلك يتحدّانا بقوله. «إذاً يا إخوتي الأحباء ليكن كلّ إنسان مُسرعاً في الإستماع ، مُبطئاً في التكلّم مُبطئاً في الغضب. لأنّ غضب الإنسان لا يصنع برّ اللّه» (يعقوب ١:١٩-٢٠).

مُعظمنا يفهم ويَألَف ذاك النوع من الغضب الذي ينتج عندما لا يجد الشخص من يسمعه. إنّه تحدّي كبير أن نُمارس نصيحة الرسول يعقوب بأن نكون مُسرعين في الإستماع ، لذلك دعونا نتعلّم أن نكون مُسرعين في الإستماع.

صلّى سليمان لهذه الموهبة. بالتحديد ، هو صلّى من أجل الحكمة. قال: « فأعط عبدك قلباً فهيماً لأحكُم على شعبك وأُمَيّز بين الخير والشرّ ..» (١ملوك٣:٩) ، إنّ تعبير «القلب الفهيم» يقصد به العقل الفاهم والقلب المُصغي. هذان المكونان العقل الفاهم. والقلب المصغي يؤلّفان أفضل تعريف رأيناه يصف النموذج المثلي للإصغاء.

كيف تحصل على «الإصغاء» كنوع من الحكمة ؟ مرّة أخرى يُعطينا يعقوب الإجابة قال: «إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من اللّه» (يعقوب١:٥).

حذّر الرسول بولس من التفاخر بالحكمة إذ قال: «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من اللّه وبراً وقداسة وفداء» (١ كورنثوس١:٣٠). «وأما نحنُ فلنا فكر المسيح» (١ كورنثوس ٢:١٦).

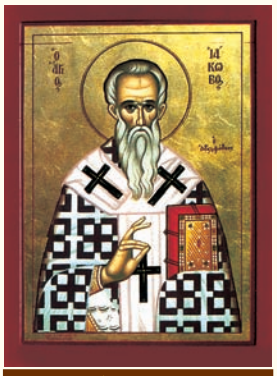

القديس يعقوب أخي الرب أوّل رؤساء أساقفة أورشليم

يا له من أمر مُريح أن نعرف أنّه عندما يكون المسيح لنا. يكون لنا فكره الذي يحتوي على حكمة اللّه! في الحقيقة عندما يكون المسيح لنا ، نحصل على الكُل - **فكره ، برّه** ، وكل شيء آخر بما فيه القدرة على الإستماع بعقلٍ فاهم وقلب مُصغي.

لماذا الإصغاء مهم ؟

الإصغاء المتميّز يفتح طرقاً قويّة لعلاقات حميمة وشافية. من خلال هذا النوع من الإستماع، يعلّمنا اللّه موهبة التحرك للأمام معاً كفريق عمل مُنتج يعمل كلّ أفراده على إرضاء الآخر بوصيّته بأن نُحب بعضنا بعضاً. وأن نُشارك العالم الذي حولنا بذلك الحبّ.

« المُصغي الجيّد يحاول أن يفهم ما الذي يقوله الشخص الآخر. في النهاية ربما يختلف جدّاً في الرأي. ولكن لأنّه يختلف في الرأي ، فإنّه يُريد أن يعرف بالضبط ما الذي يختلف فيه » (كينيث ويلز)

في إحتفال حاشد ومهيب ، تمّت مراسيم إعادةً رفات القديس سابا المتقدّس من كنيسة القيامة إلى ديره العامر في صحراء يهوذا.

علماً أنّ هذه الرفات المقدّسة ، قد أُخذت عُنوَةً في فترة الحروبات الصَليبيّة ، واحتجزتها الكنيسة الكاثوليكيّة ، وتمّ وضعها في مدينة البندقيّة في إيطاليا.

وقد أُعيدت الرفات المقدّسة سنة ١٩٦٥ لتجد راحتها في ديرها العامر.

طروباريّة القديس سابا: إنّ البريّة الجدباء بهطل دموعك أخصبت. وأتعابك الشّاقة بتصعيد زفراتك أثمرت إلى مئة ضعف. فاصبحتَ كوكباً للمسكونة يتلألأ بالعجائب يا أبانا البّار سابا. فتشفّع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا.